...ـة الأزهـر
...ـة اللغة العربيـة
قسم الدراسات العليا
الأدب والنقد .
السنة الثانية





ابن مُقَرَّب العُيُوني

حيـاته وشـعره

بحث مقدم من الطالب
فهد بن عوض بن وريده
لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

لعام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

لقد كثرت الدراسات الأدبية الحديثة حول الأدب العربي القديم، ووجهت الجامعات والمعاهد العالمية طلابها وأبناءها للاهتمام بالتراث الأدبي، ودراسته والكشف عن حياة أعلامه ورواده، ومع كثرة هذه الدراسات والأبحاث، وتشعبها فإن أدبنا القديم مازال في حاجة ماسة الى المزيد منها، لأن فيه جوانب مشرقة ومضيئة لم يتطرق إليها الباحثون المحدثون، ويفحصوها بمجهر البحث الدقيق والدراسة العميقة الشاملة، ولا نستطيع أن نلم بالصورة الصحيحة لتراثنا الأدبـــي إلا إذا تضافرت جهود العلماء والأدباء والدارسين في إحياء المخطوطات القديمـــة ونشرها للناس في صورة محققة واضحة مشرقة، لأن الكثير منها مازال قيد المكتبـات في الشرق والغرب يلفه النسيان، وفي حاجة ضرورية إلى أيد أمينة وعقول عالمـــة مفكرة لـيرى النور من بعد ظلام، وليسعد بالحياة من بعد موت.

وابن المقرب من رواد الأدب وأعلام الشعر في عصره ومع ذلك لا نظفـــر بدراسات عنه إلا القليل، ولم يحظ بعناية الدارسين المحدثين إلا نادراً فـــي حين أنه يعتبر من أنجب الشعراء الذين عاشوا في عصره، بل لعلنا لا نجانـب الصواب إذا قلنا: إنه من أعظم الشعراء الذين عاشوا معه وبعده حتى مطالـــع النهضة الأدبية الحديثة، تقرأ شعره فتحس أنك تقرأ لزهير أو النابغة أو المتنبي، شاعر درس اللغة العربية وأحاط بغريبها وألم بدقائقها ثم استخدم معرفته وخبرته اللغوية في سبك شعره وصوغه، ولا تملك عند قراءته إلا أن تعجب بقوة ألفاظـه وجزالة كلماته، ورصا نةتعابيره، وتدفق معانيه، وانسياب شاعريته، وصلتي بالشاعـر تبدأ حينما وقعت على ديوانه بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح الحلو، وأخذت في قراءته مدفوعا ببراعة أسلوبه، ومعجبا بروحه الشعرية العالية، ثم شرعت أبحث في المكتبـات عن دراسات حول هذا الشاعر فعثرت على دراسة عنه للأستاذ عمران محمـــد العمران وهي الدراسة الوحيدة - فيما وصل إليه علمي - التي كتبت عنه وعن شعره اللهم إلا بعض النتف الدراسية المبثوثة في بطون الصحف والمجلات كمجلـــة اليمامة التي أصدرها الأستاذ العلامة حمد الجاسر في الرياض ومجلة الأديـــب البيروتية فضلاً عن وجود دراسة عن حياته مقتضبة في تاريخ الأحساء لابن عبـــد القادر، ولمحة عنها في الأعلام لخير الدين الزركلي، وعثرت على ديوانه المطبـــوع في المكتب الإسلامي بدمشق وهو غني بالتعليقات وبخاصة فيما يتصل بحياة الشاعر فأخذت في قراءة هذه المراجع واستقصائها والموازنة بينها ثم قمت برحلة الى بلده

الشاعر "العيون" في الأحساء، واتصلت بمن هناك من الأدباء فأمدوني بمعلوماتهم وآرائهم عن الشاعر. وبعد أن توافرت لديّ صورة واضحة عن حياة الشاعر شرعت في الكتابة معتمداً في الدرجة الأولى على ديوانه، لأنه فيه خلاصة لحياته ومعالمها وماتميزت به من صراعات ورحلات وما قاساه فيها من حرمان فشعره صورة لنفسه، وسجل لحياته، ولقد اعترضتني بعض المشاق في رسم الصورة التي أريدها عن حياة الشاعر وشعره، للغموض الذى يكتنفها أحيانا نظرا لقلة المراجع وندرتها تلك التي تبحث عن سيرته وشعره، فمازال بعضها مخطوطاً لم ير النور، ومن هنا أدركت السبب في عدم اقبال الدارسين المحدثين على دراسته.

ومادراستي هذه إلاّ محاولة أرجو أن يكتب لها النجاح ومازلت أعتقد أن الشاعر ما زال في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدرس والفحص، وحياته الحافلة بالتطلعات والصراعات وشعره الغزير المنوع الأغراض فيهما مجال واسع للباحثين والدارسين. وبخاصة شعره وحاولت بقدر الإمكان وبما سمحت به الظروف أنْ أقدم تلك الدراسة المتواضعة عن حياة الشاعر وشعره، ولو كنت اعتقد أن دراسة كهذه تحتاج الى تفرغ والى مدة ليست قليلة من الزمن لتخرج في صورة أعمق وأشمل وأدق والله من وراء القصد.

فهد عوض بيد



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاول

موطن الشاعر والحياة السياسيه والاجتماعيه والثقافيه

يعتبر على بن المقرب العيونى الأحسائى البحريني أحد أعلام الشعر العربى فى القرن السابع الهجرى ، وحيث أن للحياة السياسيه التى عاش فيها أكبر الأثر العميق فى شعر الشاعر لذلك كان لزاماً علينا ونحن نستعرض حياته من جلّ نواحيها أولا ان نحدد موطنه الذى نبت فيه الشاعر منذ نعومة أظفاره ، وثانيا الحياة السياسيه التى أحاطت به وبنت شاعريته . فالبحرين هى موطن الشاعر ولد وعاش فيها وهى مهد آبائه وأجداده العيونيين . قال عنها ياقوت الحموى فى معجم البلدان :(البحرين) أسم جامع لبلاد واسعة على ساحل البحر ، الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس تمتد من البصره شمالا الى عمان جنوبا ، ومن الدهناء غربا الى البحر شرقا . . . وهى فى الأقليم الثانى وطولها اربع وسبعون درجة ، وعرضها أربع وعشرون درجة ، وقال الأزهرى (١) سميت البحرين لأن فى ناحية قراها بحيرة قدرها ثلاثة أميال ، وماؤها مرزعاق (٢) ، والبحيرة معروفة الآن بالأصفر فى آخر قرى الأحساء الشرقيه مشهورة بهذا الأسم) .
وهناك من نسب ابن المقرب الى غير البحرين من شراح ديوانه ونساخه (٣) ، وكذلك بعض المؤرخين وأصحاب التراجم كالشيخ خير الدين الزركلى فى أحدى طبعات كتابه الأعلام (٤) حيث قال أنه شاعر من أهل بغداد ومن الباحثين من تبعه فى ذلك ولعلهم بذلك معتمدون على انه قد زار بغداد أكثر من مره ، ولذلك نسبوه اليها ولكن نظرة واحده فى ديوان الشاعر كفيلة بأن تثبت أنه أحسائى المولد والنشأة والأصل .

لقد كانت (هجر) أو الأحساء عاصمة للبحرين آنذاك فاضمحل تدريجيا مع عامل الزمن أسم البحرين الذى كان يطلق على جميع المنطقه فبقى يطلق الآن على مجموعة جزر فى الخليج العربي أكبرها جزيرة (أوال) التى تمثل دولة البحرين فى الوقت الحاضر .

---

(١) ابو منصور محمد بن احمد بن ازهر (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) فى كتاب التهذيب .
(٢) الزعاق فى القاموس : الذى لا يطاق شربه .
(٣) من ذلك ماجاء فى مقدمة الديوان المخطوطة بمكتبة بلدية الاسكندريه حيث قال :
هذا ديوان الامام ابن المقرب الحماسي اليمنى البغدادى رحمه الله تعالى) .
(٤) في الأعلام : نسبته إلى العيونة (موضع بالبحرين) وهو من أهل الأحساء
ولد سنة ٥٧٢ - وتوفي سنة ٦٢٩ هـ ج ٥ ص ١٧٥
الطبعة الثانية ١٣٧٤
مطبعة كوستاتسوماس ١٩٥٥م

وبلاد الشاعر ــ أعني البحرين ــ عريقة جدا في الحضارة حتى لقد قال أحد المؤرخين إنها مهد للحضارة الانسانية والجنس البشرى نفسه وهي أول بلاد رفعت في البحر شراعا وركبت أهواله ومخاطره فكانت حلقة اتصال تجارية بين الشرق والغرب .

وقال بعض المؤرخين أن الفنيقيين قد وجدوا أولا في هذه المنطقة قبل نزوحهم الى الساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ويعني بذلك لبنان ، كما وأنه يوجد من الأدلة المادية الملموسة مايدل على فينيقية الخليج العربي ، وأن الفينيقيين عرب على أصح الروايات . ولقد كانت بلاد البحرين لموقعها الجغرافي المتوسط سوقا للتجارة بين الشرق والغرب مما حدا بملوك بابل واليونان الى محاولة السيطرة عليها ، ومن هؤلاء الأسكندر المقدوني الذى جهز أسطولا ضخما للاستيلاء عليها ، ولكنه مات قبل أن يحقق مشروعه .

وخير مايدل على مجدها الحضاري والتجاري أن التقى على أرضها الهندى والأفريقي والفارسي والبابلي والاغريقي وغيرهم أجناس كثيرة .

لقد كانت السيادة في العصر الجاهلي في البحرين للعرب ، ومعظم سكان هذه المنطقة من عبد القيس وتميم ووائل ، ولا يضير ذلك أن بسطت الفرس نفوذها عليها كما كان يدعيه بعض المؤرخين الشعوبيين الا أن حكامها من العرب فكانت منتدى للشعراء والتجار في ذلك الوقت ، وقد أنجبت البحرين في العصر الجاهلي كثيراً من أفذاذ الفكر وعمالقة الشعر أمثال سعيد بن مالك ، والمرقشين ، المتلمس وطرفة بن العبد وغيرهم .

وعندما ظهرت الدعوة الاسلامية ، أرسل أهل البحرين وفداً الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليفاوضه ، فعاد الوفد متشبعا بروح الدعوة الاسلامية فأسلم أكثر أهل المنطقة ، وقدم عليهم العلاء بن الحضرمي من المدينة داعيا ومعلما ومرشدا لهم . وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ارتد كثير منهم عن الاسلام فجهز لهم ابو بكر رضي الله عنه جيشا وأرسله مع العلاء بن الحضرمي فلم يستطع ردهم وجاءه المدد من خالد بن الوليد في اليمامة بعد أن اخضع بني حنيفة ، فاستطاع الجيشان ردهم الى الاسلام بعد ماتحصنوا بجزيرة (دارين) التي تعقبتهم جيوش المسلمين فيها فأخضعتهم ، وبقيت البحرين تحت لواء الخلافة الاسلامية

في عهد الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية الا أنه حدثت ثورات فيها في عهد الدولة الأموية فاستطاعت اخمادها .

وفي العهد الإسلامي والاموى ظهر في البحرين كثير من كبار العلماء وفطاحلة الفكر منهم الشاعر الفحل قطرى بن الفجاءة والصلتان العبدى وعيسى بن فاتك الخطى .

وقد دخلت تحت لواء الدولة العباسية بعد قيامها والقضاء على دولة بني أمية حتى عام ٢٤٩هـ حيث استولى عليها (صاحب الزنج) الذى ادعى النبوة لنفسه ، ومالبث أن قتل بعد حروب دامية سنة ٢٧٠هـ فعادت الى حوزة الدولة العباسية .

وفي خلال تلك الفترة ازدهرت الحياة العلمية والأدبية أيضاً بالبحرين فكثر الشعراء والعلماء فيها ،وبرز فيهم علماء في الفقه واللغة والفلسفة ، كما برز آخرون في الشعر و نقده ، منهم موفق الدين الأربلي ،ومن الشعراء معاذ الازرق ،واحمد بن منصور القطيفي وغيرهم .

ظهور القرامطة على مسرح التاريخ :

قتل صاحب الزنج (٢٧٠هـ) وعادت البحرين الى حوزة الخلافة العباسية وبعد بضع سنوات من مصرع صاحب الزنج تقريبا ظهر في البحرين رجل يقال له أبو سعيد الجنابي(١) فقد اتصل ببعض القبائل وقويت شوكته وذكر شارح ديوان ابن المقرب ان ابا سعيد لما دخل هجر أرسل الى جميع الروءساء والاعيان والقراء للتشاور معهم: في اصلاح البلاد ،فلما اجتمعوا اضرم عليهم النار ، ومن فر اخذته السيوف ،واشار بن المقرب الى هذه الحادثة بقوله :

وحرقوا عبد قيس في منازلها   وغادروا العز من ساداتها حمما

ثم سار أبو سعيد الى مدينة الزارة الشهيرة ، وكانت الرياسة فيها لبني أبي الحسن . فحاصرها حتى سلم أهلها . وأحرق الزارة ،وقد قتل سنة ٣٠١ وكان قد عهد بالأمر

---

(١) تاريخ الاحساء المسمى تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد لموءلفه محمد عبد الله العبد القادر الانصارى الاحسائي ، القسم الاول ط اولى ص ٨٥ .

ص ٧ ؟ ٤٢ ؟

الى أبنه الاكبرسعيد فعجزعنه وغلبه أخوه الاصغرابو طاهر/سليمان ابن ابى سعيد الجنابى ، وكان جريئا فاتكا ثم تتالى حكام القرامطه على حكم البلاد واجتازوا فى غزواتهم حدود البحرين ، فاستولوا على اليمامه ، ثم واصلوا الزحف الى مكه المكرمه فأمتهنوا — لعنهم الله — المشاعر والمقدسات الاسلاميه ، واقتلعوا الحجرالاسود وحملوه معهم الى الاحساء (١) فظل هناك عندهم ، وقد بذل لهم الخليفه العباسى المطيع لله خمسين ألفا فلم يردوه الى أن يئسوا من تحويل الحج الى بلدهم (هجر) فردوه الى محله من أنفسهم بعد اثنين وعشرين عاما وأربعة ايام أتى به سنبربن الحسن القرمطى الى مكه يوم النحرسنة ٣٣٩هـ فوضعه وقال اخذناه بأمر ورددناه بأمر. (٢)

وقد ذكرعن حالة الاحساء ايام القرامطه — نقلا عن رحلة ناصرخسرو الفارسى انه لا يوجد فيها مسجد تقام فيه الصلاة حتى مربها رجل أعجمي يسمى احمد على يحمل الحجاج الى مكه ، وكان ثريا فبنى فيها مسجدا ، وقال ان من عوائدهم (٣) انذاك والتى تدل على مدى تفشى الخلاعه والمجون ان هناك ليلة مشهوره فى السنه تسمى ليلة الماشوش ، وهى ليلة عيد لهم يجتمع فيها الرجال والنساء فيغنون ويلعبون ويشربون الخمور . فاذا انتشوا أخذ كل رجل أمرأة ممن تليه من النساء فقضى حاجته منها ، واستمرت هذه الحال فيهم وزالت بزوالهم ، وقد ذكرها بن مقرب فى قوله يمدح احد أمراء العيونيين وقد ابطل ليلة الماشوش فقال :

منا الذى ابطل (الماشوش) وانقطعت   آثاره وانمحى فى الناس وانطمسا

وظلت البحرين فى قبضة القرامطه حتى ضعف امرهم فى العقد السادس من القرن الخامس (٤) فبدأت الاقاليم التى يسيطرون عليها تتحرر من قبضتهم الواحد تلو الواحد ، وكانت الدوافع لذلك كثيره اوجزها المؤرخون فيما كان يعانيه اهل البحرين من ظلم وتعسف ، وجور وبغى وارهاق ، وامتهان للمشاعر الدينيه والمقدسات والمحارم . . وقد صور شاعرنا ابن المقرب كل ذلك فى قصيدته الميميه التى يفخر فيها .

---

(١) جاء فى دائرة المعارف (باشراف الاستاذ فؤاد افرام البستانى) ان القرامطه نقلوا الحجر الاسود الى ربوة بجوار — سيهات — وهى بلد الان معروفه بجوار القطيف. ولم يقل احد من المؤرخين بذلك . ولا نعرف من اين استقى البستانى قوله هذا ، وانما المتفق عليه ان الحجر قد نقله القرامطه الى هجر (الاحساء) حيث اسسوا دارا اسموها (دار الهجره) ووضعوا الحجر الاسود فيها ، ودعوا بالحج الى هذه الدار.

(٢) انظر كتاب — سمط النجوم للعصامى المكى ٣ / ٣٦٠ المطبعه السلفيه بالقاهره وانظر اخبار مكه للازرقى ١ / ٣٤٦ طبعة سنة ١٩٦٥ م مطابع دار الثقافه بمكه المكرمه .

(٣) تحفة المستفيد ص٩٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٨ .

بقومـــــه :

سل القرامط من شظى جماجمهـــم
فلقا وغادرهم بعد العلا خدمــا ؟
من بعد ان جل في البحرين شأنهم
وارجفــوا "الشام" بالغارات و"الحرما"
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكهــــا
ارض العراق وتغشى تارة "أدمـــا"(1)
وحرقوا عبد قيس في منازلهــــا
وصيروا العـز من ساداتها صممـــا
وابطلوا الصلوات الخمس وانتهكــوا
شهر الصيام" ونصوا منهم "صـــنما"
ومابنو مسجدا لله تعرفـــــــه
بل كل ما ادركوه قائما هدمـــــا(2)

. . . .

لقد ثار على حكم القرامطة ثلاثة من اشهر رجال البحرين وهـــم على التوالي :

١ــ الامير عبدالله بن علي العيوني في الاحساء وهو الجد الأعلى لشاعرنا علي بن المقرب وبه ابتدأت امارة العيونيين التي سيطرت على المنطقة حينا من الدهر.

٢ــ يحيى بن العياش في منطقة القطيف .

٣ــ ابوالبهلول محمد بن يوسف الزجاج في جزيرة (أوال) المعروفة بالبحريـــن حاليا .

وكان التوفيق حليف هذه الثورات نظرا لضعف دولة القرامطـة وأفـــول نجمها .

---

(1) أدم : قريه في عمان.
(2) انظر ديوان الشاعر بتحقيق الحلو ص ٥٣١.

كان عبد الله بن علي العيوني رجلا من بني قيس ، يسكن مشارف العيون في الاحساء ، ولذلك سمي العيوني نسبة لها . فطمع في أخذ الاحساء من القرامطة وذلك سنة ٤٦٦هـ فكتب الى جلال الدين ملك شاه السلجوقي في بغداد ، شارحا له أحوال البلاد وطالبا منه العون على الاستيلاء عليها واقامة الدعوة للدولة الجلالية العباسية في الاحساء ، فبعث اليه القائد (اكسك سالاريك حبوان) ومعه سبعة آلاف فارس فسار من البصرة الى الاحساء واتفق مع عبد الله ، فتم لعبد الله تخليص الاحساء من براثن القرامطة بعد حروب طاحنة انتهت في سنة ٤٦٨هـ .

وأما أبو البهلول فقد استطاع التغلب على جيش القرامطة الذى قواه من بني قيس فتغلب عليهم في جزيرة أوال واخضعها لحكمه بضع سنوات .

أما يحيى بن عياش فقد استطاع ان يستولي على القطيف وأن يطرد منها عمال القرامطة ويخضعها لنفوذه ، وقد تطور أمره حتى طمع في انتزاع جزيرة أوال من ابي البهلول ولكنه مات قبل أن يتم له ذلك فخلفه ابنه زكريا الذى نفذ خطة والده فأنتزع جزيرة اوال من ابي البهلول بعد قتله وضمها الى القطيف .

وأخيرا فكر بن العياش ان يوحد تحت تاجه امرة البحرين بأكملها بما في ذلك الاحساء التي كان يسيطر عليها عبد الله بن علي العيوني ، فالتقى جيشه مع جيش عبد الله بن علي — أمير الاحساء فانهزم امامه في الموقعة الاولى وقتل في الموقعة الثانية وبذلك خلا الجو للعيونيين ، قوم ابن المقرب فاستولوا على القطيف وجزيرة أوال . وبهذا تم توحيد البحرين تحت علم الامارة العيونية ، وهذا ما تهمنا دراسته جيدا نظرا لعلاقة شاعرنا به ، وقد سجل ابن المقرب هذه المعجزة لجده عبد الله بن علي حين يمدحه ويفتخر به حيث يقول :

ولم ينج (ابن عياش) بمهجته يوم اذا ماراه الناظر ارتسما[1]

أتى مغيرا فوافى جو (ناظرة) فعاين الموت منا دون مازعما[2]

---

(١) انظر ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص٥٣٩

(٢) ناظره : مكان معروف الان وفيه حدثت الوقعة الاولى بين عبد الله وابن عياش

فراح يُطرد طرد الوحش ليس يرى | حبل السلامة الا السوط والقدمـا
فانصاع نحو (أوال) يبتغي عصمـا | اذْ لم يجد في نواحي (الخط) معتصما
فاقحم البحر منا خلفه ملــك | مازال قد كان ، للاهوال مقتحمـا
فجاز ملك (أوال) بعد ماترك (ال | عكروت) بالسيف للغبراء ملتزمـا[1]
فصار ملك (ابن عياش) وملك (ابي ال | بهلول) مملكنا عقدا لنا نظمـا
من ذا يقاس بعبد الله يوم وغى | في بأسه او يبارى جوده كرمـا

. . . .

بداية الدولة العيونيــة :

بقضاء الامير عبد الله بن علي العيوني على حكم ابن عياش في القطيف ، وجزيرة أوال استقر له الحكم في البحرين ، فأسس ملكا واسعا قوى الدعائم متينة إلا انه لم يخل من بعض الثورات الداخلية من القبائل التي استطاع التغلب عليها واخمادها بحزمه وقوة رأيه . وبذلك يعتبر الامير عبد الله بن علي العيوني أول مؤسس للدولة العيونية التي حكمت البحرين قرابة قرنين من الزمان .

وقد توفى الأمير عبد الله بعد ما أرسى دعائم الدولة وقضى على جميع المعارضين لها وترك ثلاثة أولاد اكبرهم سنا ابنه الفضل فعلي ، وضبار .

الفضل بن عبد الله العيوني :[2]

كان الفضل بن عبد الله شجاعا ، كريما وبعيد الهمة ، كثير الأسفار والتنقلات ، والتجول في البرارى يتعقب المفسدين وقطاع الطرق والعابثين بالأمن ، فأمنت البلاد في عهده ، وقد حمى رعيته من (ثاج) شمالا الى (يبرين) جنوبا . ويروى أنه كان

---

(١) العكروت : احد قادة جيش ابن عياش البارزين .
(٢) تاريخ الاحساء ، الطبعة الاولى (ص ١٠٢) . والفضل بن عبد له : عبد ل هو الاب الاعلى للدولة العيونية حيث يقال لهم العبادلة .

يتجول ذات مرة في الصحراء التي حماها ، فرأى اعرابيا يرعى غنمه في الحمى ، وقد سبق أن قال له اعرابي آخر أما علمت ان هذا حمى الفضل ؟ فقال :

وابن امرؤ في "زاد برد" محله   واغنام سودى بعيد مذاهبه

(فزاد برد) موضع في جزيرة أوال وفيه قصور للفضل يقيم بها اذا كان هناك ، فما أتم الاعرابي البيت الا وقد خرج عليه الفضل مع ثلة من خيله فبهت الاعرابي ،ولكنه عفى عنه ،وهذه من غرائب الصدف ، ويشير الى ذلك شاعرنا ابن المقرب في احدى قصائده الفخرية في الفضل حيث يقول :

وان يفتخر بالفضل (فضل بن عبدل)   فيا بأبي أعراقه ومناسبه
همام حمى البحرين سبعا ومثلها   سنين ،وسارت في الفيافي مواكبه
ولم يرع من (تاج)الى (الرمل) مصرم   على عهده الا استبيحت حلائبه (١)
زمان يقول (العامرى) لمن غدا   يحذره عنه وذو الحمق غالبه (٢)
(واين امرؤ في "زاد برد" محله   واغنام سودى بعيد مذاهبه (٣)
فلم يستتم القول حتى اذا به   يسايره . . والدهر جم عجائبه
فقال له :الآن التقينا فارعدت   فرائصه والجهل مر عواقبه (٤)

وقد روى مايدل على كرمه أن تجاراً ركبوا البحر من جزيرة أوال الى القطيف فغرقت سفينتهم وذهب مامعهم من المال ، فأمر الفضل بأن يكتب كل رجل ماغرق له ففعلوا ، فأعطى كل رجل مايقابل مافقد من تجارته من المال ، وكان فيهم جوهرى فقد عقوداً من اللوءلوء قيمتها مائة ألف ،فاعطاه ذلك فرجع الى جزيرة أوال واشترى بها عقودا وذهب الى البصرة ، فأرسل له حاكمها وسام منه اللوءلوء بثمن بسيط فقال له صاحب العقود : ياسيدى خذ ماشئت واترك ماشئت : فهذا كله عطا ملك عربي ، قال من هو ؟ قال ملك البحرين ،

---

(١)(تاج) موقع في شمال البحرين (الرمل) مكان ايضا جنوب البحرين .
(٢) العامرى : هو البدوى الذى يحذر صاحبه من حمى الفضل .
(٣) البيت من كلام الاعرابي .
(٤) انظر القصيدة بديوان الشاعر ص ٥٧ .

الفضل بن عبد الله فاستعظم ذلك ودعا بكأس ماء وشربه وهو واقف احتراما للفضل (١)
وكعادة شاعرنا ابن المقرب وتسجيله مفاخر قومه فقد سجل تلك الواقعة بقوله :

منا الذى قام سلطان العراق له   جلالة والمدى والبعد بينهما (٢)

أبو سنان محمد بن الفضل :

كان أبو سنان معروفا ومشهورًا بالكرم، وكان اشهر أمراء الدولة العيونية وأشدهم قوة ومنعة ،أعجب به شاعرنا ابن المقرب فقال فيه :

منا الذى من نداه مات عامله   غما وأصبح في الاموات مخترما (٣)

ولذلك قصة وهي أن شاعراً عراقيا يقال له الثعلبي قدم عليه ومدحه ولديه أحد عماله قد أتى بعقود من اللوءلوء لتسلم الى الامير ، فأمر الأمير أن تعطى هذا الشاعر فما كان من وزيره الا أن مات في الحال لأنه استعظم ذلك كله ، فسجلها ابن المقرب كعادته في تسجيل مفاخر قومه .

ولاية شكر بن علي بن عبد الله بن علي

يكنى ابا مقدم ، وكان عالما كريما ورعا وشاعرا مجيدا ،وفارسا شجاعا وضع المكوس والضرائب عن رعيته ، وحينما تولى الاحساء خرج عليه رجل يسمى حماد النائلي أو الوائلي . وجمع كثيرا من البوادى واقبل يريد الاحساء فحاصرها مدة من الزمن الا ان ابا مقدم استطاع ان يرد غزو الوائلي ويقتل منهم خلقاً كثيراً واليه اشار ابن المقرب بقوله :

---

(١) تاريخ الاحساء ص ١٠٣ .
(٢) ديوان الشاعر ص ٥٤٠ .
(٣) ديوان الشاعر ص ٥٤١ .

منا الذى يوم حـــرب النائـلي جـــلا

يوم السبيع ويوم الخائر الغمما (١)

والسبيع ـ والخائر مكانان لواقعتين بينهما تغلب فيهما ابو مقدم وقد توفى رحمه الله بعد منتصف القرن السادس .

— — —

ولاية محمد بن أحمد بن أبي الحسين بن أبي سنان :

أتسعت رقعة الدولة العيونية في عهده فامتدت الى نجد ،وبادية الشام، وقد بلغت من القوة درجة جعلت الخليفة العباسي الناصر لدين الله يعهد الى الدولة العيونية بحماية الحجاج من بغداد الى مكة ، وقد خصص للأمير العيوني مكافأة على ذلك يدفعها لــه كل عام وقام بهذه المهمة الامير محمد خيـر قيام ، وقد أدب بادية الشام عنــد معارضتها للحجاج كما غزا بني مالك على ماء الدجاني غربي الدهناء بنجد وفيه يقول :

بن المقرب اولها :صِداق المعالي مَشْرفي وذابلُ

وسابغة زُغْفٌ واجرد صاهـــل (٢)

ومنهــا :

ألم يجلب الجرد العتاق شوازبــا	من "الحظ" تتلوها المطايا المراسل (٣)
الى ان "اناخت" بالدجاني " بعدما	براها السرى والاين فهي نواحــل
فصبحن حيا لم يصبح حلالــــه	قديما ولا رامت لقاه الجحافــل
فكم قرم قوم غادرته مجــــدّلا	تقط شواه الخامعات العواســل (٤)
وكم عاتق لم تترك الخدر ساعــة	تقلب كفيها له وهي ثاكــــل
تقول ودمع العين منها كأنــــه	جمان هوى من سلكه متوابــل
حنانيك يا ابن الاكرمين فلم تدع	لنا أملا تلوى عليه الأنامــــل (٥)

(١) الديوان ص ٥٤٦ (٢) تاريخ الاحساء ص ١٠٦ (٣) الشازب الخشن والضامر اليابس
(٤) تقط : تقطع الشوى : مالح الجوف والبطن . الخامعات : الضباع .
(٥) ديوان الشاعر ص ٣٥

ولقد كان عهد محمد بن ابي الحسين اكثر استقراراً من غيره وذلك نتيجة لحزمه وعزمه وضربه على يد المفسدين ، الا انه قتل على يد أحد اصهاره وقد رثاه ابن المقرب بقوله :

ظننت حسودى حين غالت غوائله يريع الى المقيا وتطوى حبائله (١)

— — —

فضل بن محمد بن ابي الحسين :

لقد استعاد فضل ملك ابيه من قتلته ،ولكن في عصره بدأ الضعف يدب الى الدولة : ويطمع فيها الأعداء من كل جانب فلمس علي بن المقرب الضعف يدب في جسم الدولة ، فلانت قناتها ووهنت عزماتها وكان ابن المقرب كما عهدناه حماسي الطبع حاد المزاج تجمعه مع البيت المالك أواصر الرحم. فجعل ينظم القصائد الحماسية ويندد بسياسة الهوى واللين حتى مقتته الاسرة المالكه وباعدته ، وفي بعض الظروف صادرت أمواله لتكسر من حدة وشوكته . وإخلاصه لبني قومه هو الذى خلق الهوة بينه وبينهم لا ما زعمه بعض المؤرخين والناس بقولهم انه طمع في أخذ الحكم منهم ونراه في هذه القصيدة معاتبا على سياسة الهون والتراخي : (٢)

تجاف عن المتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنى الذى أنت حزبه فلا عجبا ان أسلمتك الاباعد
ولا تشك أحداث الليالي الى امرىء فذا الناس اما حاسد أو معاند
وعد عن الماء الذى ليس ورده بصافٍ فما تعمى عليك الموارد
فكم منهل طامي النواحي وردته على ظمأ فانصعت والريق جامد
فلا تحسبن كل المياه شريفة يبل الصدى منها وتوكى المزاود
فكم مات في البحر المحيط أخو ظما بغلته والماء جار وراكد

---

(١) الديوان ص٣٢٦ .
(٢) تاريخ الاحساء ص١٠٩ والديوان ص١٤٠

وإن وطن ساوتك أخلاق أهله … فدعه فما يغضي على النقص ماجد
فما هجرٌ أم غذتك لبانها … ولا الخط ان فارقتها لك والد
فبت حبال الوصل ممن تسوده … إذا لم يزد كل الذي أنت وارد
وقل لليالي كيفما شئت فاصنعي … فان على الأقدار تأتي المكائد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله … فطعم المنايا كيفما ذقت واحد

وفيها يقول :

فقم نحصد الأعمار او نبلغ المنى … بجد فللأعمار لا بد حاصد
فليس بصعاد الى المجد عاجز … نؤوم تناديه العلى وهو قاعد
وفي السعي عذر للفتى لو تعذرت … عليه المساعي او جفته المقاصد

ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة العصماء احيانا يعتب وأخرى ينصح الى آخرها .

علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين :

لما تولى علي بن ماجد زمام الحكم العيوني في البحرين أظهر العدل وأخذ على يد المجرمين فعاد الأمن الى البلاد وسار بها الاستقرار وقد مدحه ابن مقرب بقصيدة عصماء ، إلا أن جماعة من بني عبد القيس ثاروا عليه فخرج من البلاد ، وبايع الثوار مقدم بن عرير بن الحسين بن شكر بن علي ، وكان مقدم قد نشأ نشأة بدوية فعجز عن ادارة الحكم مما دعا الطامعين الى التكالب على الدولة ففقدت الدولة العيونية هيبتها وقد شارك ابن المقرب في تأنيب رئيس الثوار بتوليته مقدماً وهي من عيون شعره .

وبعد ذلك عاد الثوار فولوا عليهم محمد بن ماجد اخاً علي أمير البحرين وقد مدحه بن المقرب وأثنى عليه ، غير أن محمد بن مسعود العيوني قد قام بقتل محمد بن ماجد وتولى الحكم مكانه ، وهنا بدأت شمس الامارة العيونية تؤذن بالزوال ، فقد اعدت جموع بني عقيل برئاسة بني عصفور العدة لانتزاع الأحساء من أيدي العيونيين فحاصروا الأحساء واحرقوا الزروع والنخيل فتلمس الأمير محمد بن مسعود النصح من جلسائه الذين قد اتفق معهم بنو عصفور بالاشارة عليه بقبول الصلح نظير مايطلبه منه الغزاة وهو تسليم القصور والمزارع والأموال الخاصة بالعيونيين فتم ذلك . وقد سخطت الأسرة

العيونية على تصرفات هذا الامير بابعاده الاقارب، وادنائه الاباعد الامر الذى كان سببا في انهيار الدولة العيونية.

وهكذا تقلص حكم العيونيين، بعد أن دام مايقارب القرنين من الزمان، وماهي الا سنوات قليلة سيطر بعدها بنو عصفور على شئون الحكم ثم استقلوا به وكان ذلك في العقد الرابع من القرن السابع اى بعد وفاة ابن المقرب بقليل وكان الفضل بن محمد بن مسعود هـو آخر امرائها.

كل هذه الأحداث التي مرت بنا سقناها مع نوع من الاختصار لغرى الجو الذى تنفس فيه شاعرنا ابن المقرب، والحياة التي عاشها، وكان جو صراع وحرب، مما كان له السبب الرئيسي في تكوين شخصية شاعرنا الذى نحن بصدد الحديث عنه، فلقد رأيناه يشارك في كل حادثة مع قومه بالنصح والإرشاد والإطراء والمدح أحيانا وبالعتب احيانا أخرى.

وله في آخر حياته قصيدة يندب فيها حظ قومه ويندد بأبي القاسم الذى كان سببا في انهيار دولتهم لانصياعه لنصح الحاقدين والمغرضين ومن قوله فيها (١):

ياضيعة العمر ياخسران صفقتنا
ياشوم حاضرنا الاشقى وبادينا
كنا نخاف انتقال الملك في مضر
فمرحبا بك ياملك اليمانينا
فان تولت ملوك الروم مابلغت   معشار ماصنعت اخواننا فينا
كنا نضج من الحرمان عندهم   ونطلب الجاه منهم والبساتينا
فاليوم نفرح ان يبقوا لموسرنا   من ارث جديه سهما من ثمانينا

هذا ما يهمنا بحثه من تاريخ البحرين لنصل بالشاعر الى العصر الذى عاش فيه، ومما مضى ومن خلال دراستنا لتاريخ هذه المنطقة نرى ان الطابع العام لهذه الدولة — اعني العيونية — طابع بدوى في كل نواحيه. وقصيدة على ابن المقرب التي قالها وهو في بغداد سنة ٦١٣ والتي مطلعها: (٢)

قم فاشدد العيس للترحال معتزما   وارم الفجاج فان الخطب قد فقما

تمثل الشيء الكثير من البراهين الناطقة والأسس والمقومات التي قام عليها حكم العيونيين وهي تبلغ مائة وخمسين بيتا عدد فيها مفاخر قومه وأيامهم ومواقفهم المشرفة.

---

(١) تاريخ الاحساء ص ١١٨ وديوان الشاعر ص ٦١٥
(٢) انظر ديوان الشاعر ص ٥٢٦.

الباب الثاني

الفصل الأول :

حياته ونشاته

أ) من هو ابن المقرب؟

اختلف الرواة والمؤرخون كعادتهم في عد أسماء شاعرنا ابن المقرب والوصول به الى جده الأعلى للعشيرة العيونية ،بل اختلفوا ايضا في الاسماء نفسها تقديما وتأخيرا وتحريفا ، كما اختلفوا أيضا في لقبه وكنيته .

وفيما يلي نسوق بعض التراجم التي وجدناها لابن المقرب عند جل المترجمين الذين تناولوا ذكره فمنهم :

١- جاء اسم شاعرنا في مقدمة ديوانه ص٣ وقد كتبها أحد علماء الاحساء الاجلاء[1] وقد طبع هذا الديوان في الهند سنة ١٣١٠هـ، وهذا نصه :

" جمال الدين أبوعبد الله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن ابي الحسين بن غرير بن ضباب بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد العيوني الاحسائي " .

٢- وابن (ماكولا) يقول عنه في (الاكمال) وقد اختصر سلسلة أبوته اختصارا يوقع في الشك[2]. مانصه" ابو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار (كذا) بن عبد الله البحراني . . " .

٣- وقال عنه صاحب كتاب" معجم البلدان" " ياقوت الحموى" في صفحة ٢٥٩[3] من الجزء السادس من المعجم عند ذكر مادة العيون" وبالبحرين موضع يقال له العيون ينسب اليه شاعر قدِم الموصل وأنا بها ،واسمه علي بن المقرب بن الحسن بن

---

(١) مقدمه ديوان بن المقرب طبعة الهند سنة ١٣١٠هـ ص٣

(٢) حياة ابن المقرب وشعره لعمران العمران ص١٣

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٦ ص٢٥٩ .

عزيز (كذا) بن ضبار (كذا) بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم العيوني البحراني ، لقيته بالموصل سنة ٦١٧هـ . وقد مدح بها بدر الدين وغيره من الاعيان ونفق فأرفدوه واكرموه" .

٤— قال ابن نقطه — وهو مؤلف توفي سنة ٦٢٩ السنة التي توفي فيها ابن مقرب — في كتابه (المستدرك)[1] الذى استدرك به على كتاب ابن ماكولا ، قال في مادة "ضبار" . "...واما ضبار — بفتح الضاد المعجمة وتشديد الياء المعجمة بواحدة وآخره راء — فهو أبو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله البحراني تقدم ذكره " . وكان قد قال عنه " البحراني . . . وابو الحسن علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن غرير البحراني ، شاعر مجيد ، مليح الشعر قدم علينا بغداد فانشدنا قصائد من شعره " الورقة ١٢٩ نسخة دار الكتب المصرية .

٥— وقال ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ في كتابه (قلائد الجمان[2] في شعراء الزمان) المصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة :

(علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز (كذا) بن ضبار بن عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابو عبد الله الربعي البحراني العيوني . كذا أملى علي نسبه من حفظه) .

وكان ابن الشعار قد التقى بابن المقرب في بغداد سنة ٦٢٤هـ ووصف شعره بأنه جزل اللفظ وصينه ، جيد القول متينه ، كما وصفه بالحذق وابداع المعاني .

١— ونلاحظ على ابن الشعار أنه اكثر استيفاء لأبوة الشاعر حتى الجد الأعلى ، وايد كلامه بأن الشاعر نفسه هو الذى أملى نسبه عليه .

٢— وقد اتفق مع كاتب المقدمة في اكثر الاسماء ولم يختلف معه الا في الجد الثالث للشاعر فان الشعار قال (الحسن) وصاحب المقدمة زاد كلمة (أبو) ويلتقي مع كاتب المقدمه في سرد اسماء الشاعر ماعدا ذكره (علي بن عبد الله بن محمد بأنه "علي بن محمد" .

٣— وقال بن الشعار (عزيز) بعين فزاى فياى فزاى — قد اتفق في ذلك مع ياقوت ومخالفا

---

(١) جريدة اليمامة السعودية علم ٣١٢ في ٨١/٩/٧ للشيخ العلامة حمد الجاسر .

(٢) جريدة اليمامة عدد ٣١٢ في ٨١/٩/٧هـ للشيخ حمد الجاسر ، ومقدمه ديوان بن المقرب للاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣ص ٧ .

لابن نقطه ،وابن ماكولا وكاتب المقدمة ،ولمن وافقهم ممن نطقه برائين بدل الزائين

٤ـ اتفق في نطق (ضبار) بالضاد والباء المشددة والراء مع ياقوت وابن نقطه وجميعهم من المعاصرين لابن المقرب وقد اجتمعوا به وكذلك أتفاقه مع ابن ماكولا .

٥ـ اتفق مع ابن ماكولا وياقوت وابن نقطه في أحد قوليه بادخال اداة التعريف على اسم أبي الشاعر ،الا أنه لم يشر الى لقب الشاعر وكنيته .

٦ـ وقال الحافظ المنذرى المتوفي سنة ٦٥٦ هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) في ذكر وفيات سنة ٦٢٦ هـ.(١)

" . . . ويقال أبو الحسن علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله بن حسن بن ابراهيم الربيعي العيوني البحراني الاحسائي الشاعر بالبحرين . .) .

ويمكننا أخيرا بعد هذا السرد لأبوة الشاعر عند أكثر المؤرخين والمترجمين له أن نخلص الى مايلي :ـ

أولا اننا عرفنا مما تقدم أن ياقوت الحموى وابن نقطه وابن الشعار هؤلاء قد جمعهم مع الشاعر عصر واحد وربما بلد واحد ـ وهو العراق ـ فهم معاصرون له ، وقد التقوا به فعلا وسمعوا شعره ،فيمكن لنا أن نأخذ بعين الاعتبار والترجيح قولهم ونجعله أساسا لنا نعتمد عليه وخاصة ابن الشعار الذى يمتاز على قرينيه بأنه شافه الشاعر نفسه وأخذ نسبه منه املاء وكتابة . مع أن ابن الشعار لا يتفق مع زميليه في كل شيء ولكنه يختلف عنهم شيئا بسيطا وهو نقص احد الاسماء وربما حدث ذلك سهوا ،او يختلف في النطق كعزيز برائين بدل الرائين اللتين اتفق عليهما البقية ،وقد يكون هذا خطأ في النقل أو النسخ اما اختلافه معهم في أداة التعريف الداخلة على اسم أب الشاعر فقد تكون لملاحظة الوصفية فقط . وأما مايخص لقب الشاعر وكنيته فانه من الجائز جدا أن يحمل المرء اكثر من لقب وكنية واحدة وليس لدينا مايبرر أن نخلص فيه الى لقب واحد أو كنية واحدة ، وقصر الشاعر عليهما(٢) .

وحسبنا ماسقناه من أقوال المترجمين لابن المقرب ان نخلص الى أن اسم شاعرنا

---

(١) التكملة للمنذرى (ج٦٤ حوادث ٦٢٩) .

(٢) صاحب مقدمة ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٣١٠ هـ بلقبه بجمال الدين ويكنيه بأبي عبد الله ،وابن ماكولا . في الاكمال ،وابن نقطه في المستدرك ،والحافظ=

هوازن :

علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد الربعي البحراني العيوني" فهذا هو الأقرب للصحة والواقع.

فابن المقرب على أي حال عربي صميم، أمير من امراء الدولة العيونية وشاعر فحل من شعراء القرن السابع الهجري وهو ينتمي بنسبه الى بني ربيعة، وهم فخذ من قبيلة عبد القيس العدنانية ذات الامجاد الرفيعة الشامخة في الجاهلية والاسلام، وهو كثير الفخر والاعتزاز بأصوله فلا تخلو قصيدة من قصائده الا وفيها فخر بأمجاد قومه فاستمع اليه يقول :

أنا ابن النازلين بكل ثغر ... كفيلا بالضراب وبالطعان
نماني من ربيعة كل قرم ... هجان جاء من قرم هجان (١)

ب) عشيرته :

وقد اشتهرت عشيرته الاقربون (بآل عبدل) نسبة الى جدهم عبد الله بن علي أو (آل ابراهيم) نسبة الى الجد الاعلى ابراهيم بن محمد ، ويقال لهم (العيونيون) نسبته الى بلدهم التي نشأوا فيها وهي بلدة العيون بالاحساء موجودة الان.

ومن شعره مفتخرا بعشيرته قوله :

وأرغب بمدحك الا في سليل علا ... ينمى الى الغر من آبائك النجب
متوج (عبدلي) حين تنسبه ... لخير جد اذا يدعى وخير أب (٢)

وقوله يمدح احد ابناء عمه الامراء :

يابن الملوك الألى شادوا ممالكهم ... بسلة البيض والخطية السلب
نماك من (آل ابراهيم) كل فتى ... مهذب طاهر الاخلاق منتخب

= المنذري في كتابه (تكملة وفيات النقله) ج٦ ٤وفيات ٦٢٩هـ والمتوفي سنة ٦٥٦هـ فيكفونه بأبي الحسن، واما ابن القوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ فيلقبه بموفق الدين ويكنيه بأبي القاسم وبقية المؤرخين لم يذكروا الا اسمه فقط بدون لقب أو كنية.

(١) ديوان ابن المقرب للشيخ عبد العزيز العويصي / منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ص٦٨. الثغر : موضع المخافه . نماني : ولدني ، القرم : السيد ، الهجان : الكريم.

(٢) ديوان ابن المقرب تحقيق عبد الفتاح الحلو ص٧٨ .

كم في ابوتك الأمجاد من ملـــك بالمجد ملتحف بالتاج معتصب (١)

وقوله ايضا يمدح الأمير أبا سنان أحد ابناء عمه :

نماك من آل ابراهيم كل فـتى منزه العرض من غش ومن دغـل

قوم هم القوم في بأس وفي كـرم وفي وفاء وفي حل ومرتحـل

يمضون في الناس ما قالوا وغيرهـم ان انكروا منه بعض القول لم يقـل

في كل حي ترى الا اقلهمـو بيتا ومفخر ذاك البيت في رجـل (٢)

وقال ايضا يمدح الامير ابا سنان وهو ابن عمه :

سما بك بيت (عبدلى) أَجَلّـهُ ديار الاعادى سمره وقواضبـه

وعالي محل من (ربيعه) أشرفـت علوا على كل البرايا مراتبـه (٣)

وقوله ايضا يمدح ابن عمه محمد بن احمد بن ابى الحسين :

أغر عيونيّ كأن جبينـه صحيفة سيف اخلصته الصياقـل

نماه الى العليا (فضل) و(عبدل) و (احمد) والقرم الهزبر الحلاحل (٤)

---

(١) المرجع السابق ص٨٢ من نفس القصيده .

(٢) المرجع السابق ص٣٨٩

(٣) المرجع السابق ص٥٥

(٤) المرجع السابق ص٣٥١

ج) نشأته واخلاقـــه :

شهد النصف الثاني من القرن السادس الهجري مولد شاعر عظيم من شعراء الأمة العربية ، ونبوغ علم من أعلام القريض فيها فقد ولد الأمير علي بن المقرب العيوني في بلدة العيون[1] من نواحي الاحساء في سنة ٥٧٢هـ[2] فشب وترعرع بين أحضان قومه امراء البحرين وأخذ عن أدباء بلده ، وعلمائها اللغة والادب والشعر في سن مبكرة ، وتغذى بلبـــن الشهامة والبطولة منذ نعومة أظفاره ، فنشأ عزيز النفس ، عالي الهمة شديد البأس صـــب القناة طموحا الى المجد وتواقا الى المعالي ، فقد وهبه الله جنانا ثابتا ، وفؤادا يقظاً ، وأصفاه الله نفسا نأت به عن مواطن الريب ، ودفعت به الى طريق المجد والعزة والقوة . لقد بدأت شاعريته تظهر جلية واضحة في سن مبكرة من عمره فقد قال الشعر وهو لم يبلـــغ السن العاشرة من عمره[3] ، فكانت هذه بادرة جميلة تنبئ عن شخصية عالية يكمن وراءها رجل ليس بالهين البسيط ، مما دفع قومه الى أن يحسدوه على هذا النبوغ المبكر خوفا منه على أمارتهم فدعاهم ذلك الى وضع العقبات والصعاب في طريقه مما سنتكلم عنه في حينــــه إن شاء الله .

لقد قضى شاعرنا معظم حياته في البحرين وشعره حافل بأسماء الاماكن التي قضى فيها أيام طفولته وشبابه فهو يتغنى بها في كثير من مناسباته الشعرية ومن ذلك ذكـره لأيامه العذبة التي قضاها في : الثليم ، والجرعاء والجديد ، والمصلى والحصنيـــــــن وكلها أمكنة في منطقة البحرين ومن ذلك قوله :

رَعَى الله (الثُّلَيْمَ) وساكنيـــــــه	واجزاعًا تكنَّفها الثَـــلامُ
وجَارَ من (الجديد) الى (المصلّى)	الى (الحصنين) وكَافَ رِكامُ
فمسرح لذّتي ومراح لهـــــــوى	هنالكمُ وجيرتي الكــرامُ
وملعب كل غانية كعــــــــــاب	مخدَّمةٍ يزين بها الخدامُ

---

(١) ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) نقلا عن ابن المقرب نفسه ، وقد ورد هذا المرجع في مقالة العلامة الشيخ حمد الجاسر في صحيفة اليمامة السعودية عدد ٢١٣ تاريخ ٧/ ٩/ ٨١هـ عن ابن المقرب .

(٢) التكملة للمنذرى ج٤٦ حوادث سنة ٦٢٩ ، والوافي بالوفيات للصفدى ج٢٢ ورقم ٨٩ والاعلام للزركلي ج٥ ص١٧٥ .

(٣) مقدمة ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٣١٠هـ .

يراها القابس العجلان لمحـــا فيبقى لا وراءٌ ولا أمـــــامُ

وترسل من لواحظها سهـــامـــاً فتمضي حيث لا تمضي السهامُ

مضى ذاك الزمان فليت أنّـــي صدًى من قبل مضاه وهـــامُ (١)

وقولــــه :

يامنزل الحي بالجرعاء لا برحـــت تهمي بك المزن متهلا عزاليها

كم لي بمغناك من يوم نعمت بـــه وليلة تعدل الدنيا ومافيهـــا (٢)

وله أيام أخرى في نجد قضى فيها بعضا من أيام شبابه العذبة حيث قال :

لله أيام الصبا إذ دارنـــــا (حَجْرُ) القُرى ولنا (بأجْلَةَ) معهدُ (٣)

إذ لمّتي تحكي الغداف وانمـــا أشهى الشعور الى العيون الاسودُ (٤)

والخد من ماء الشباب كأنمـــا فيه لأحداق الكواعب مـــوردُ (٥)

كم ليلة طالت فقصّر طولهـــا شدْوٌ و المزاهر والغزال الأغيـــدُ (٦)

وترنم الأوتار في يد قينـــةٍ غنج يدين لها الغريض ومعبـــدُ (٧)

ويبدو من هذه الأبيات أن أيامه في اليمامة أيام لهو وطرب وغناء وأنس .

---

(١) الديوان تحقيق الاستاذ عبد الفتاح الحلو ص ٥٦٣

(٢) الديوان تحقيق الاستاذ عبد الفتاح الحلو ص ٦٥١

(٣) حجر : قصبة اليمامة ، وقوله حجر القرى تعظيما لها . وأجله : أرض باليمامة
المعهد : المنزل الذى ينزلون به القوم ثم يرحلوا فيعودون له .

(٤) اللمه : الشعر المجاور لشحمة الأذن . الغداف : الغراب الاسود .

(٥) الكواعب جـ جمع كاعب وهي الجارية التي نهدت . والاحداق : العيون ، وحدقة العــين سوادها .

(٦) الشدو : الغناء . المزاهر : العيدان التي يضرب بها واحدها مزهر . الأغيد : الناعم .

(٧) الترنم : ترجيع الصوت . قينة : أمه . غنج : ذات الدلال ، يدين : يخضع . والغريض ومعبد : مغنيان مشهوران بجودة الغناء . الابيات في ديوان الشاعر شرح عبد العزيز العويضي منشورات المكتب الاسلامي دمشق ص ١٨٢ .

د) **شخصيته** : وبعد أن شب شاعرنا واكتملت رجولته تحركت في نفسه روح الطموح ودوافع الغيرة الى المجد رغم أنه لم يكن صاحب قضية سياسية فقد اخذت الشكوك تحوم حوله من قبل بني عمه امراء العيونيين الذين هم حكام البحرين ، فوجد الحساد والناقمون عليه وعلى الدولة فرصتهم الوحيدة فسعوا به لدى أبناء عمه حتى اضطهدوه وصادروا أمواله وممتلكاته ، وشدوا عليه خناق الحياة ، وكل ذلك خوفا منه ومن نبوغه الذى لاحظوه عليه ، فلم يجد ابن المقرب سبيلا الا مغادرته وطنه ، والرحيل بعيدا عن بني عمه وعشيرته . فسافر الى العراق ودخل بغداد والموصل وواسط وديار بني بكر ، فأخذ يتصل بالولاة والامراء هنا وهناك وانشد فيهم المدائح فأكرموا وفاده وأحلوه مكانا طيبا من مجالسهم ، ولكن دفع به الحنين بعد حين الى وطنه ومسقط رأسه ، فعاد وأنشد القصائد في بني عمه امراء العيونيين ، آملا في استجابتهم وتركهم سماع كلام الحساد والنواشين ، فلم يحرك منهم ذلك ساكنا ولم يصيخوا الى مدائحه ولم يعيروه اى انتباه .

لقد كان شجاعا في رأيه مخلصا في نصحه لهم متحليا بطول الصبر مما نابه من مصائب الزمان . . فانظر الى قوله :

مُنيتُ من الزمان بمنقفير	قليل عندها حز الشفار (١)
فراقُ أحبةٍ ، وذهابُ مالٍ	وضيمُ أقاربٍ ، وأذاةَ جار
فلا والله لا وجد كوجدى	ولا عُرِفَ اصطبار كاصطباري

وابن المقرب لم يهون من عزيمته ما مني به من سلب قومه لممتلكاته وأمواله ، فمع قلة يده وتمكن الفاقة منه أحيانا لم يفتر له عزم ولم تلن له قناة وهو القائل عن نفسه :

إنْ ترى شخصي لأمر ساكنا	فلعمرى أن قلبي في طراد
رُبَّ ذى همّ تراه مطرقا	وهو في اطراقه حيةُ واد (٢)

ولقد كان كثير الحديث عن نفسه ، معجبا بها وبنسبه وامجاده كما كان لسان قومه الناطق بمجدهم المعبر عن أمجادهم فقد كان لهم مدافعا ما وسعه ذلك بالرغم من أن قومه قد ناصبوه العداء فتحدوا مشاعره ، وضايقوه في عيشه ، ولكنه رغم ذلك يمد لهم يد القرابة ويبخل بمودتهم عن قطع الرحم . . فكان يفتخر بهم ويحسبهم عدته في مواجهة الحياة

---

(١) المنقفيز : الداهية ، وشفرت السيف حده . الديوان تحقيق الحلو ص ٢١ .

(٢) ديوان الشاعر ص ١٨٠ .

والناس . ولذا نجده حفيا بأنبائهم في غربته حيث يقول :

وإنّ انفرادي عنهم وتغرّبـــــي	ترامى بي الأمواج والحزن والسهب [1]
بغير اختيار كان مني ولا قـــلى	وأنهم للعين والانف والقلـــب
ولكنها الأيام تُبعد تــــارة	وتُدني ولا بعد يدوم ولا قـــرب
واني حفيٌّ عنهم وسائـــل	بهم حيث تهوى السّفرُ او ينزل الركب [2]
وكم قائل لي عد عنهم فانــــه	مع الألم المضّاض قد يُقطع الارب [3]
فقلت رويدا قد صدقت ولكـــم	اذا لم يكن فيه لحامله طـــب
اذا لم أُداو العضو الاّ بقطعـــة	فلا قصب يبقى لعمري ولا قُصُـب [4]
واني بقومي للضنين وانــــني	على بعد داري والتّنائي بهم حدب [5]
ولي فيهمو سيف اذا ما انتضيتـه	على الدهر اضحى وهو من هيفه كلب [6]
على أن حد السيف قدرٌ بما نبا	وفُلّ وهذا لا يُفَلّ ولا ينبـــب [7]

هكذا كان الامير ابن المقرب شديد الاعتزاز بقومه شحيحاً بهم رغم تردي علاقته بهم ، ورغم اضطهادهم له وسجنهم اياه ومصادرة املاكه وامواله نزولا على رغبة حساده ومناوئيه ، وهذا والله انه لــذروة الــشيم العربية التي سجلها تاريخ العــرب لهذا الأمير الفذ .

كما وأنه عُرف عنه الاحسان الى المحتاجين والفقراء وعرف عنه التقوى والعفاف والتمسك باهداب الدين والشريعة رغم ماحدث منه في ايام صباه من لهو تقدم لنا في أبياتـــه وهو باليمامة .

---

(١) السهب : ماتسع من الارض
(٢) الحفي : المستقصى في السؤال . والسفر : المسافرون .
(٣) عد عنهم : اتركهم . المضاض : الموجع . الارب : العضو .
(٤) القصب من الاعضاء : كل عضو اجوف ، والقصب الثانية : الامعاء .
(٥) الحدب : العطوف .
(٦) كلب : له معنيان ، اقربها ان الكلب اذل السباع اذا خاف .
(٧) ديوان الشاعر شرح عبدالعزيز العويصي ص ٢٥ .

هـ) علمه وثقافتـــه : أما عن حظه من المعرفة في ذلك العصر الذى يخيم عليه الركود الثقافي والشعرى خاصة في ذلك القطر العربي — البحرين — فان سعة الأفق الثقافـي لدي شاعرنا تكاد تكون أبرز ظاهرة يلمسها الدارس لشعره المتمعن في ديوانه ، وليس من شك فان ابن المقرب لم يعتبر نفسه شاعرا الا بعد دراسة مستفيضة لشعر الاقدمـــين من فحول الشعراء من جاهليين واسلاميين وشعراء العصر العباسي وغيرهم أمثال أبو الطيب المتنبي وغيرهم ممن ترسم خطاهم واقتفى آثارهم فقد اطلع على ماخلفه أولو العقول المجربة والافكار النيرة كما وانه اطلع على كثير من أساليبهم وأخيلتهم ، وتم له الاطلاع ايضا علــى أخبار العرب وأيامهم ودرس أنسابهم وبعبارة أخرى فان ابن المقرب لم يقل الشعر الا بعد أن اكتملت ثقافته وتمت موهبته ، وبعد أن أصبح مهيئا لعرض افكاره . فشعره الذى يحتويه ديوانه عموما لا تختلف قصائده ومقطوعاته بعضها عن بعض اختلافاً يوجب الانتباه ويلفــت النظر ، بل كانت قصائده لها شبه كبير ببعضها من حيث الاساليب والمعاني والصياغـــة الفنية ، فمستواه الشعرى فيها يتقارب جداً وهذا بالطبع راجع الى أحد سببين همـــا : أما انه لم يتجه الى الشعر اتجاها كاملاً الا بعد أن نال حظا وفيرا من الثقافة العامـــة واما انه لم يكن راضيا عن شعر صباه فلم يضمنه ديوانه . وبعد ذلك بقى ان نعرف ابرز ألوان المعرفة واميز معالمها لدى شاعرنا ، فالقارى لديوانه يجد أن أول ظاهره ثقافية يلمحهـــا الباحث في شعره هو تمكنه القوى من قواعد اللغة العربية ، وتضلعه فيها بشتى فروعهـــا وعلومها وفنونها ويكفيه فخرا في ذلك شهادة امام العربية في زمنه الشيخ العلامة محــب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى الحنبلي ، وقد اشار الشاعر الــى ذلك في احدى قصائده حين قال :

لقد تقدمت سبقا من تقدّمـــني	سنا وادرك شأوى فارط الأول [1]
بذلك قدوة أهل العلم قاطبــــة	ابو البقاء محب الدين يشهد لي [2]
هو الامام الذى كل له تبـــع	من كل حاف على الدنيا ومنتعل
فما الخليل له ندّ يقاس بـــه	وهل يقاس بين البحر والوشـل [3]

وما دمنا نعرف ان ابا البقاء علم من اعلام العربية فانه لا ينظر الى شعر الشاعر الا من زاويـــة خاصة ، وهي اقراره للشاعر بتمكنه من قواعد اللغة العربية وهذه تعتبر شهادة عظيمـــة لشاعرنا .

---

(١) ديوان الشاعر شرح عبد العزيز احمد العويصي ص٤٢٩ . وتحقيق الحلو ص٣٨٢
(٢) القدوه : الاسوه . وابو البقاء : لقب ابي عبد الله بن الحسين العكبرى لواء وامام أهل العربية من اهل بغداد وغيرها ، وكان قد حكمه على جميع من تقدمه من الشعراء ، وكوتب على ذلك بحضرة جماعة من أهل العلم .
(٣) الخليل : صاحب كتاب العين ، وهو الخليل بن احمد . والند : الضد ، والوشل : الماء القليل .

ولقد قال ابن الشعار الموصلي ايضا بأن ائمة العراق من ذوي العلم والادب قد أقروا لابن المقرب بالحذق في الشعر والادب. وهذا نص مقالته.

" ... وكان شاعرا مجودا منتجعا، كثير المدح قليل الهجاء جيد القول متينه، قوي اللفظ رصينه، وهو احد الشعراء المعروفين، أقر له بالحذق أئمة العراق من ذوي العلم والأدب" (١)

أما عن الميزة الثانية التي تستفيدها من ديوان الشاعر فهي اطلاعه على حوادث التاريخ، وايام الماضيين. ولقد كان حظ شاعرنا من هذا العلم سحا غدقا، فقد درس ايام العرب، وتاريخ الاسلام دراسة وافية شاملة، واحاط باطراف وصور شتى من ماضي الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده، وألم بكثير من اخبار الشعوب المجاورة للعرب من فرس وروم، وله اطلاع تام في معرفة كثير من مواقف رجالات العرب، وأفذاذهم، وما اشتهروا به من مآثر جمة ومفاخر عطرة.

وكانت له معرفة خاصة بتاريخ الجزء الشرقي من بلاد العرب – أي البحرين وماجاورها – وقد تكلمنا عن ذلك باقتضاب في الفصل الاول من هذه الرسالة – والدول التي تعاقبت الحكم فيه، أما عن تاريخ الدولة العيونية وهي اسرته فلم تخف عليه فيه اية خافية دقيقة أم جليلة ما جعله يردد ذلك في نفحات شعريه تفيض بها روحه وينبض بها وجدانه مرددا لها في كل مناسبة شعرية.

كما وان تنقلاته ورحلاته داخل البحرين وخارجها – الى اليمامة، والعراق وديار بكر – قد أفادته علما الى علمه وثقافة الى ثقافته، فقد عرف كثيرا عن عادات الآخرين وأساليب حياتهم وسبل معاشهم. وكان له ايضا من هذه التنقلات استفادة بمعرفة البلدان ومن رحلاته الى واسط وبغداد والموصل فقد اجتمع بعدد من الفقهاء والعلماء والادباء، وقد كانت هذه البلاد حواضر العلم في ذلك العصر، فناقش الادباء والعلماء في بعض المسائل وناظرهم فيها فنال القسط الاوفى من المعرفة في الدين واللغة والأدب. فابن المقرب أخذ من مفهوم الثقافة عند العرب اطرافا شتى فكان العالم الفاهم قبل أن يكون الأديب الشاعر.

ويجدر بنا ونحن ندرس حياة هذا الاميرالشاعر أن نعرج بالحديث على معتقده حيث أن لذلك صلة تامة بشعره، فمنطقة البحرين وجد فيها بعض الديانات الأخرى غير السنية وهي مهد للديانة الشيعية وهم أولئك الفئة التي تدين بالولاء لآل البيت رضوان الله عليهم وتتشيع لعلي كرم الله وجهه.

---

(١) جريدة اليمامة لسعود يقعد د ٢١٢ وتاريخ ٧ / ٩ / ٨١ هـ من مقالة ونصوص تاريخية أوردها الشيخ العلامة حمد الجاسر عن ابن المقرب وقد ارجعها الشيخ حمد الى كتاب قلائد الجمان في شعراء الزمان لابن الشعار الموصلي.

و) معتقـــده : وابن المقرب سني المذهب والمعتقد ،ونظرة واحدة في ديوان الشاعر كفيلة بأن تزيل الشك وتثبت أنه من أهل السنة كما كانت أسرة العيونيون تدين في معتقدها وفي أحكامها وفق حدود الشريعة الاسلامية وعلى مذهب اهل السنة والجماعة كما كانت لهم مواقف خالدة في احياء ما اندرس من معالم السنة. الا أن رحلات شاعرنا الى العراق كانت مثار اختلاف بين بعض الباحثين في معتقده حتى رأينا بعض الشيعة يقولون عنه أنه شيعي المعتقد (1) وقد عضدوا دليلهم هذا بدليل آخر من شعره وهو مدحه (لآل البيت) وهذه حجة واهية لا يعتد بها في الواقع.

ويمكن للرد على هذين الاستدلالين أن نقول :

ان قصد شاعرنا من رحلاته للعراق انه أولا البلد القريب من وطنه وثانيا انه يوجد به من الخلفاء والامراء والولاة من يلتجئ الى حماهم ويلوذ بكنفهم اضف الى ذلك أن بغداد لا تزال العاصمة الرمزية للخلافة الاسلامية ، وان بني العباس لا يزالون يتعاقبون الخلافة فيها ،ثم ايضا ان التاريخ لم يثبت لنا اطلاقا انه عرج على الاماكن المقدسة عند الشيعة ،وليس في شعره ما ينم عن ذلك ،ولو فعل ذلك لظهر في شعره قطعيا ،اما عن مديحه لآل البيت رضوان الله عليهم فلم يكن ذلك وقفا على الشيعة دون أهل السنة فأهل السنة ايضا يجلون أهل البيت ويرعون لهم حقوقهم .وصلته ايضا بعلماء السنة وخاصة الحنابلة والشافعية ،ومدحه لبعضهم ، وثنائهم عليه ،ومديحه لشمس الدين باتكين وهو محي سنن مالك وابي حنيفة والشافعي . . كل هذه الامور مجتمعة تنفي الشك في معتقد ابن المقرب وتزيله وتؤكد ماسقناه من سنية مذهبه . وقد استدل من قال بشيعية بن المقرب بقصيدة وجدت في نسخة خطية واحدة من ديوانه ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٨٦ هـ وهي تزخر بشتيت من صور التشيع. ومطلع القصيدة :

ياباكيا لدمنة وأربع	ابك على آل النبي أودع
يكفيك ماعانيت من مصابهم	من أن تبكي طللا بلعلع

والمتمعن الفاحص في هذه القصيدة لا يجزم بصحة نسبتها للشاعر من وجوه هي :

١ـ ان روح ابن المقرب الشعرية والفكرية وطابعه الاسلوبي أمور تنعدم تماما في هذه

---

(١) قال بذلك احد رجال الشيعة وهو السيد محسن الامين في كتابه (أعيان الشيعة) .

القصيدة ، وهذا كافٍ للقول بأنها ليست من شعره .

٢ـ ان القصيدة قد انفردت بها هذه النسخة الخطية الواحدة دون سائر نسخ الديوان المخطوطة الاخرى .

٣ـ اشار الناظم في اخرها باسم ابن المقرب ، وهذا امر يزيد الشك فيها حيث قال :

اليكم نفثة مصدور أتـــــت	من مقحم الشعر الى مصقـــــع
مقربى عربى طبعـــــــه	ونجره ، وليس بالمـــــدرع

٤ـ ليس في شعر ابن المقرب على سعته اى صورة من صور التشيع وهذا من شأنه ايضـا زيادة الشك في نسبتها له ، اذ لو فرض ان القصيدة من شعره حقيقة (رأينا فـي قصائده الاخرى شيئا من سمات هذا اللون الذى اتصفت به القصيدة . والقصيدة هذه قد الحقها بديوانه محققه الاستاذ /عبد الفتاح محمد الحلو دون التثبت من صحتهـا وهي تبلغ ٧٦ بيتا وقد اثبتها في ص ٢٥٩ وترتيبها (٤١) . رغم انها لاتوجد الا فـي نسخة واحدة من مخطوطات ديوان الشاعر .

ز) وفاتـــــه :

لقد عاش شاعرنا الامير علي بن المقرب العيوني مايقارب سبعاً وخمسين سنـــة أمضى كثيرها في صراع مرير مع دهره ، وزمانه ، وهو صراع عاد على الشعر العربي بثروة فكريــة وبيانية جمة ، فقد وقف حياته متغنيا بأمجاد قومه ودولته العيونية مادحا لابناء عمه أحيانا وناصحا لهم حينا آخر ، فمضى عمره متقلبا بين بلاد وطنه البحرين وبين العراق واليمامـــة ، وقد انتهى به المطاف ورمته اقدار الحياة في نهاية الامر بقرية نائية من سواحل عمان في طريق الذاهب الى الهند يقال لها طـيوى ، ولما نزلها سماها طيبى فقد توفى بها وذلـــك سنة ٦٢٩ هـ على ارجح الاقوال .[1] وقيل سنة ٦٣٠ ، وقيل سنة ٦٣١ هـ .

---

(١) قال بذلك الحافظ المنذري المتوفي سنة ٦٥٦ هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة ج٤٦) ذكره في وفيات ٦٢٩ هـ وقال بذلك صاحب كتاب الاعلام خير الدين الزركلي جـ ٥ الطبعة الثانية ص ١٧ ولدن ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) قال ان ابن المقرب توفى في آخر محرم سنة ٦٣٠ هـ .
وقال ابن القوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ هـ في كتابه (تلخيص مجمع الاداب) ان ابن المقرب توفى في البحرين في المحرم سنة ٦٣١ هـ .
وقال الصفدى المتوفي ٧٩٤ هـ في (الوافي) ان ابن المقرب توفى في سنة ٦٣١ هـ . وهذه المصادر قد ذكرها العلامة الشيخ حمد الجاسر في جريدة اليمامة السعود يقعدد ٢١٣ تاريخ ٧/٩/ ١٨هـ من مقالة عن ابن المقرب .

الفصل الثانـي

رحلاته واتصالاتـــه

نبغ ابن المقرب في اقليم البحرين فأوتي من الذكاء والفطنة وتوقد القريحة، وسعة النظر وبعده مالم يؤت غيره من افراد الاسرة العيونية، فكان ذلك سببا رئيسيا لفت اليه انظار اسرته، وحدا بهم اخيرا الى الخوف منه واضطهاده وسلب امواله وممتلكاته ثم ايداعه في السجن مدة من الزمن وذلك نزولا من ابناء عمه على رغبة حساده ومناوئيه الذين وجدوا الفرصة مواتية لهم، ولعل هذه الاسباب مجتمعة هي التي حدت بشاعرنا الى أن تكون حياته سلسلة من الرحلات داخل اقليم البحرين وخارجه.. والا فانه يعز عليه فراق اهله ومغادرة دياره ووطنه. وهو القائل في ذلك؟

ولائمةٍ وأحزنَها مسيري	وقد شَرِقتْ بأدمعها الغزار
تقول وقد رأت عِيسي ورحلي	وصدّي عن هواها وازوراري
علامَ تجشّمُ الاهوال فرداً	بغبر البيد او لجج البحار؟(١)
أمالاً ما تحاول أم علوّاً	هُدِيتَ أم اجتواءً للديار؟(٢)
اتقنع بالعلاة عن العلالي	بديلا والمثار من الوثار(٣)
فقلت لها غشاشاً والمطايا	الى التجليح حاضرةُ الحضار(٤)
ذريني لا أبا لك كيف يرضى	بدار الهون ذو الحسب النضار
فظلّ السّدْر عند الذُّل أولى	بأهل المجد من ظل السّدار(٥)

والقائل:

لا تحسبوا بغضي للاوطان من ملل	لابد للود والبغضاء من سبب
قل، وذل، وخذلان، وضيم عدى	مقام مثلي على هذا من العجب
اذا الديار تغشاك الهوان بها	فخلها لضعيف العزم واغترب(٦)

---

(١) تجشمت الامر: تكلفته على مشقة.. (٢) اجتوى المكان: كرهه واستوباه.

(٣) العلاة: هي المرتفع من الارض، والحصاة يوضع عليها الاقط لتجفيفه، المثار: اخدود يحفره الرجل مقدار طوله وينام فيه، وتسميه العرب القرموص، الوثار: الفراش اللين.

(٤) غشاشا: على عجلة. التجليح: الاقدام والعزم.

(٥) السدار: الخدر، والقصيدة في ديوان الشاعر شرح عبد العزيز الحويكي ص ٢٥٤ (الاصل)

(٦) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٧٦.

والقائل ايضـــا :

فان تك قومي الغر باهت حلومها / بها واطاعت في الصديق الأعاديا
وأدنت ذوى الاغراض فيها وباعدت / لامرذوى ارحامها والمواليا
واعطت زمام الامر كل مدفــع / من الغُثْرِ لا ترضى به (الزنج) واليا[1]
وهل قلاها من لها كان آمـــلاً / ورجّى اذاها من لها كان راجيا
فلى سعةٌ عن دارها حيث لا أرى / بنات الكداد ى يحتقرن المذاكيـــا[2]
فلستُ ابن أم المجد ان لمْ اقم بهـا / مقاوم تبدى للردايا مكانيـــا
سأركبها أما لِعِزٍّ وراحـــةٍ / أفيدهما او يَخْتَلِبَنـي حَمَامِيَا[3]

والقائل ايضا :

سأرحل رحلةً تذر المطايـــا / وشارفها الخدية كالأهـــان[4]
فاما ان أعيش مصادَ عِـــزٍّ / لمجّنيءِ عليه أبو لجانبـــي[5]
واما ان أموتَ وما عليهــــاً / سوى من خافني او من رجانـــي
فموت الحر خير من حيـــاة / يقاسي عندها ذل الهـــوان[6]

والقائل ايضا :

١ـ اقيما على حر المدى او ترحـــلا / فلستُ براضٍ منزل الهون منـــزلا[7]
٢ـ ولو تسألاني اين ترمى ركائـــبي / فما لكما ان تُسلماني وتسْـــألا
٣ـ فقد سئمت نفسي المقام وشاقـني / ركوب الفيافي مَجْهلاً ثم مَجْهَـــلا
٤ـ وكيف مقامي بين اوباش قريــةٍ / أرى الرأس فيها من بها كان اسفلا

والقائل :

ما اقبح الذل بالحر الكريم ومـا / أسوأ واقبح منه العز باللكـــع
مالي اجمجم في صدرى بلابلـــه / ومنكب الارض ذو منأى ومتســع[8]

---

(١) زمام الامر : مقاده ، والمدفع : الذليل الحقير .
(٢) الكداد : فحل تنسب اليه الحمر ، والمذاكي . . الجياد من الخيل .
(٣) ديوان الشاعر تحقيق عبد الفتاح الحلو ص ٩٦٥ .
(٤) الشارف : السنة من النوق ، الخديه : الضخمة ، الأهان : العرجون .
(٥) المصاد : اعالي الجبل . (٦) والقصيدة في الديوان تحقيق الحلو ص ٦٢٦ .
(٧) المدى : جمع مدية وهي السكين . الهون : الذلة والضعف . الديوان تحقيق الحلو ص ٣٦٤
(٨) الجمجمة : اخفاء الشي في الصدر . . والبلبال : البرحاء في الصدر . والمنكب : ناحية كل شيء . ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٧٧

وكل أرض اذا يممتها وطـــني   وكل قوم اذا صاحبتهم شيعـــي
ولي من الفضل أسناه واشرفـه   وهمة جاوزت بي كل مرتفـــع (١)

ومنهـــا :

لا خـــير في منزل تشقى الكرامه   ويلحق السَيِّدُ المَتبُوعُ بالتَّبَـــعِ
كم لُمتُ قومي لا بَلْ كم أُمرتهـُـم   بحسم داء العدا فيهم فلم أُطَعِ
فلم أجد بعد يأسٍ غير مرتحلي   عنهم لهمٍّ أُسَلّيه ومُتَـــدَعِ (٢)
فان يُرِيعُوا أَرِعْ والعقلُ مكتسبٌ   والرَيْعُ خيرٌ ومن لِلعُمْيِ بالرَسَعِ (٣)

فبمجرد قراءتنا لهذه الامثلة يمكن أن نستشف أولا الدوافع الحقيقية لتنقلات ابن المقرب داخل اقليم البحرين وخارجه كما ندرك منها ايضا مدى حبه وتعلقـــه بوطنه ومدى صعوبة مغادرته على روحه وقلبه ، اضافة الى بذل نفسه وتفانيه في سبيل الحرية والعـــزه والكرامة وارتفاعه عن مواطن الذل والخنوع .

اتصا له بامراء العيونيـــين :

لقد سافر الى اليمامة وكانت هذه الرحلة الاولى له حيث غادر بلاد البحرين وذلك في أيام صباه ، وقد مر بنا ذلك في نشأته حيث قال في تلك الرحلة :

لله أيام الصبا اذ دارنـــــا   حجر القرى ولنا باجله معهـد

ألا أن هذه الرحلة لم تصطبغ بصبغة رحلاته الاخيرة الى بلاد الرافدين — العراق — فقد قضى بعضا من أيام شبابه ولهوه في اليمامة .

ولما شب ، واكتملت رجولته وتحركت في نفسه روح الطموح الى المجد ، أخذت الشكوك تحوم حوله من قبل بني عمه ، واذكت الايام حدة هذه الشكوك فـــازدادت الخلافات العائلية بينه وبينهم (٤) تعقيدا ، فتصلبوا في موقفهم تجاهه واضطهـــدوه ، وصادروا أمواله وممتلكاته ثم أودعوه غياهب السجن مقيـــداً بالأغلال وقد ظل فـــي السجن حينا . . ثم خرج فلم يجد مندوحة من مغادرة وطنه الحبيب الى نفســـه

(١) أسناه : اعلاه .   (٢) متدع : مكان الدعة والراحة .
(٣) الريع : الرجوع ، أراع : رجع . الرسع : فساد في الاجفان .
والقصيدة موجودة في ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٧٨ .
(٤) كان الحكم آنذاك لآل علي بن عبدالله العيوني .

والرحيل بعيدا عن بني عمه وعشيرته فاتجه الى العراق فوصل بغداد واقام بها مدة بسيطة، قضاها ولم يدنس سمعته بسؤال، ولم يمتدح اثناءها أحداً.

وبعد مدة عاد الى هجر حاضرة البحرين وذلك سنة ٥٠٦هـ يحدوه الأمل الوطيد في أن الخلافات والاحقاد قد استلتها الأيام من الصدور وخلفها الوئام والود، أضف الى ذلك ان الحكم قد انتقل من ال علي — الى آل فضل بن عبد الله العيوني — وهم بنو عمه ايضا — وكان على مودة ووفاق معهم.

وبعد أن وصل الى الحساء توجه الى اميرها محمد بن ماجد آل فضل فأنشده قصيدته اليائية التي مطلعها :

خذوا عن يمين المنحنى ايها الركب لنسأل ذاك الحي ما فعل السرب[1] ؟

وهي تبلغ اثنين وثمانين بيتا بدأها باللوعة والحنين ثم انتقل الى النسيب والفخر بقومه العيونيين وأخيرا انتقل بحسن وبراعة الى مدح الامير واستعطافه بأن ترد له أملاكه السلبية، كما ناشده الله بشعر يذيب الصخر من أن يريق ماء وجهه في استجداء الناس فيقال :

فصن حر وجهي عن سؤال فانه علىّ ولو عاش بن زائدة صعب

ورُدّ كثيرا من يسير تقت به فراخا قد استولى على ريعها الجدب[2]

فوعده الأمير محمد خيراً .. الا أنه لم يف بوعده أخيرا بل لقد رجع عنه وذلك بتأثير حساده ومناوئيه فقد اوهموا الامير بأن مطلب بن المقرب بعيد الغور، وما طلب الا القليل من الكثير، فنصحوا الامير بعدم العطف عليه، وابعاده فانصاع لرأيهم ومشورتهم.. وخاف ابن مقرب على نفسه وقد قال فيه ايضا قصيدة من عيون شعره يستحثه فيها بعد ما طال وعده، فغادر ناحية القطيف، وفيها امتدح اميرها فضل بن محمد العيوني[3] واقام هناك مدة الا أنه لم يظفر بأربه بل لقي الصدود والجفاء فعاد مرة أخرى الى الحساء، ولكنه ترفع عن الاتصال ثانية بالأمير محمد بن ماجد.

---

(١) الديوان تحقيق الحلو ص٢٦.

(٢) 〃 〃 〃 ٢٥.

(٣) فقد مدح الاميرفضل بقصيدته التي أولها

ابث لك العزة القعساء والكرم ان تقبل الضيم او ترضى بما يصم

وهي (٤٣) بيتاً في ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص٢٠٥.

وفي هذا الاثناء قتل محمد بن مسعود العيوني ابن عمه محمد بن ماجد واعتلى اريكة الملك فمدحه ايضا بن المقرب بقوله :

صعود العُلا الا عليكَ حـــرامُ　　وعيشٌ سوى ما انتَ فيه حِمامُ (١)

والقصيدة تبلغ اثنين وثمانين بيتا .

كما امتدح ايضا ابنه الفضل بقصيدتين من عيون شعره .

غير أن الفضل اساء الحكم في آخر ايامه فأخذ املاك عشيرته واقطعها للاباعد والغرباء فلامه ابن المقرب على ذلك وعاتبه عتابا حارا ولاذعا .

وبعد ذلك ضاقت بشاعرنا الارض مارحبت وخاصة بعدما رأى معاول الدمــار تعمل على هدم صرح الدولة العيونية فغادر الى العراق — للمرة الثانية — .

وماكاد يستقر هناك حتى وصلته اخبار أخرى تحمل اليه ان الامير علي بن ماجد أخا محمد قد ثار على قتلة اخيه . وانه انتزع السلطة في الاحساء منهم . ثم عاد ابن المقرب مسرعا الى بلده ، وامتدح اميرها بقصيدة مطلعها :

صَدَّت فَجَذَّتْ حبل وصلكَ زينــبُ

تيهـاً ، واُعجبها الشباب المُعْجَـبُ (٢)

وهي تبلغ ٨٧ بيتا .

ومالبث ان هوى عرش هذا الامير ، وتولى بعده الامر مقدم بن عزيز العيونـــي وكان فتى خليعا ، سيء الطبع ، دنيء الخلق فشد شاعرنا ابن المقرب رحله كعادتــه للمرة الثالثة — قاصدا العراق ميمما الملك الاشرف العادل * صاحب الجزيرة الفراتية فوصل الموصل سنة ٦١٨ هـ الا انه لم يوفق بلقاء الاشرف حيث انه سمع عنه انه توجــه لملاقات الحملة الصليبية والاشتراك في صدها عن الديار الاسلامية . لقد كان الاشرف حريصا على اتصال ابن المقرب به فقد كان من المعجبين به المولعين بشعره ، ولكــن ابت الايام الا أن تحول بين لقائهما ، فقد واصل الاشرف سيره حتى وصل دمياط وهناك اشترك ضد الهجمات الصليبية على مصر فانتصر الملك الاشرف وسرعـــان

---

(١) الديوان تحقيق الحلو ص ٤٧٣ .　　(٢) الديوان تحقيق الحلو ص ٩٤

(*) الملك الاشرف هو موسى بن محمد العادل بن ابي بكر محمد بن ايوب من ملوك الدولة الايوبية بمصر والشام ، جرت له مع ملك الروم ، ومع ابن عمه الملك الافضل وقائع ، وكان شجاعا حازما كريما ، موفقا في حروبه وسياسته توفي سنة ٦٣٥ هـ .

ماوصلت الاخبار شاعرنا ابن المقرب وهو في الموصل فأشاد بهذه البطولة وسجل للاشرف هذا النصر العظيم في قصيدة من عيون شعره الذى شارك فيه في هذه الانتصارات بدأها بقوله :

أبرُّ شهودى انني لك عاشــق — سهادى وسقمي والدموع الدوافق (١)

ومنهـــا :

سل الكفر من أودى بدمياط ركنه — وقصر أعلى فرعه وهو باســـق (٢)

يخبرك صدقا أن موسى هو الذى — بصارمه باقت عليه البوائـــق (٣)

وقد جاءت الافرنج من كل وجهة — كأن تداعيها السيول الدوافق

كتائب ملء البر والبحر، من بدت — له قال : ذا جنح من الليل غاسق

تسير بسد من حديد لو أنـــه — هو السد لم يخرقه للوعد خارق (٤)

له لجب كادت مرارا لهولـــه — تقطع بين المسلمين العلائـــق

فما كان الا أن احسوا قدومـــه — تحف به تلك البنود الخوافـــق (٥)

يهز حساما لم يكن من دمائهـا — له صابح منهم يرى وغابـــق

ومالوا لقذف المال في اليم في الضحى — وبالليل ثارت في الرحال الحوائق

وازعجهم من ذاق للجرح بعدهم — بأمس وهل يستعذب الموت ذائق ؟

فولوا فمنكب على أم رأســـه — لدن ذاك لم ينفق وآخر نافـــق (٦)

ومستعصم بالبحر منه وعائـــذ — بأخلق تنبو عن صفاه المطارق

ولم يبق يثنى من عنان جـواده — أبا لا بنه والموت للقوم خانـــق

فسال دم لو سال في الارض لاستوى — بها ردغ ماعمرت ومزالـــق (٧)

جرى منه فوق البحر بحر فموجه — الى الان من بعد الاقاحي شقائـق

———

وتعتبر هذه القصيدة بحق من عيون شعر شاعرنا ابن المقرب الذى شارك به في الادب الصليبي وهي تبلغ اثنين وتسعين بيتا .

---

(١) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٩٢ (٢) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٣٠٠ باسق: عال مرتفع.
(٣) باقت عليه البوائق : اصابته الشرور والدواهي .
(٤) السد : سد ياجوج ومأجوج الذى بناه ذا القرنين عليه السلام . (٥) البنود : الاعلام .
(٦) لم ينفق : لم يمت .
(٧) الردغ: الماء والطين والوحل الشديد .

اتصاله بأعيان زمانـــــه :

وفي اثناء وجوده بالموصل اتصل بأميرها بدر الدين لؤلؤ ومدحه بقصيدة لامية بدأها بقوله :

حطوا الرحال فقد أودى بها الرحل ماكلفت سيرها خيل ولا ابل

بلغتم الغاية القصوى فحسبكم هذا الذي بعلاه يضرب المثل (١)

وهي قصيدة طويله تعتبر بحق من عيون الشعر العربي ، وابياتها تقارب السبعين بيتا ، وكان لها أثر عميق في نفس الممدوح وقد سمعها منه الرحالة العربي الشهير ياقوت الحموي الذي التقى به في الموصل فأشار اليها في معجمه ، الا انها لم تقع منه موقعا حسنا حيث قال : . . . وليست بالطائل عندي (٢)

وعندما غادر ابن المقرب الموصل ودع أميرها بقصيدته التي قال في مطلعها :

إنزل لتلثم ذا الصعيد مقبلا شرفا واجلالا لمولى ذا الملا (٣)

واكرم الامير ابن المقرب واحسن وفاده ، واجزل في عطاءه ، الا أنه من المؤسف أنه ورد في ديوان الشاعر بيتان قد هجا بهما ابن المقرب بدر الدين وعلق عليهما طابع الديوان بأن الامير هو الذي طلب منه ذلك على ما أعتقد مداعبا له (٤)

وفي إحدى سفراته الى بغداد التقى شاعرنا بالنقيب تاج الدين اسماعيل بن النقيب جعفر العلوي الحسني ، وحضر مجالسه فخلع عليه فامتدحه بقصيدته التي مطلعها :—

تخفي الصبابة والالحاظ تبديها وتظهر الزهد بين الناس تمويها

وتستر الحب كيما لا يقال صبا شيخا فتعلنه الانفاس تنويها (٥)

---

(١) ديوان الشاعر تحقيق العلو ص٤٣٩

(٢) معجم البلدان لياقوت مادة العيون ج ٦ ص٢٥٩ . ونحن مع تقديرنا العميق لياقوت واحترامنا لمباحثه الجغرافيه ، لا يمكن ان نوافقه في حكمه على شعر ابن المقرب وبالاخص هذه القصيده التي تعتبر من عيون شعره . فشعره بصفة عامه جيد ويقارب ان لم يضاهي فحول الشعراء كأبي الطيب وابي فراس الحمداني وسيأتي الكلام على شعره .

(٣) ديوان الشاعر ص٤٢٢

(٤) يقول فيهما

تسلطن بالحدباء عبد بلؤمه بصير بلى عن نيل مكرمة عم

اذا أيقظته لفظة عربيقة الى المجد قالت أرمنيته نم

الديوان ص٥٠٥

(٥) ديوان الشاعر ص٦٤٩ .

ولعل من أبرز من اتصل بهم في بغداد الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء(1) وذلك في سنة ٦١٣هـ فقال فيه قصيدته الميمية التي استهلها بقولـــه :

أَمَارَاتُ سِرِّ الحُبِّ مالا يُكتَمُ ... وَأَبيَنُ شيءٍ مايُجِنُّ المُتَيَّمُ (٢)

وقصيدته الحائية التي مطلعها :

أرتْها المآقي ماتكنُّ الجوانـــح ... فبُحٌ ، فالمعنى بالصَّبابة بائح (٣)

الاولى تبلغ مايقارب خمسة وستين بيتا ، والثانية تبلغ تسعة وستين بيتا .

وقد اتصل في بغداد بأحد رجال الناصر وامتدحه واثنى عليه وهو فخر الدين أبوعبدالله المحسن بن هبة الله الدوامي وذلك سنة ٦١٤هـ فقال فيه :

بلاه الامام البَرَّ حينا وغَـــيْرهُ ... فلم يَرَأَزكى منه نفساً واشرفــا

وولاه امرالمسلمين فلم يــــرعْ ... تقياً ، ولا راعى لدنياه مُسْرِفا

ولا خان بيت المال جهرًا ولا خفا ... ولا زاغ عن نهج الامام ولا هفا (٤)

وقد التقى ايضا ببغداد في سنة ٦٢٣ هـ بعلم من أعلام الأدب والتدوين ، وهو ابن الشعار الموصلي صاحب (قلائد الجمان في شعراء الزمان) وأنشده كثيرا مـــن أشعاره حفظا ، وقد ذكره ابن الشعار بأنه قوي الحفظ والذاكرة ولا يجد سآمـــة ولا ضجرا في اسماع شعره للاخرين ، كمـــا وصفه فقال" . . . هو أحد الشعـــراء الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين أقر له بالحذق أئمة العراق من ذوي الادب والعلم" (٥) .

وقد مر في احدى رحلاته ايضا ببلدة ــ واسط ــ واتصل بعاملها الاديـــب

---

(١) ولد الناصر عام ٥٥٣ وبويع بالخلافة ٥٧٥ بعد وفاة والده وتوفي عام ٦٢٢ وعلى هذا فهو اطول خلفاء بني العباس مدة في الحكم ، وكان معروفا بالدهاء والسياسة والتقـــلب.

(٢) الديوان ص ٤٤٨ .

(٣) الديوان ص ١٢٠

(٤) ديوان الشاعر ص ٢٨٧ وتبلغ ٩٢ بيتا .

(٥) انظر مجلة اليمامة السعودية عدد ٣١٢ وتاريخ ٨١/٦/٧ من مقالة للشيخ حمد الجاسر في ابن المقرب .

عميد الدين احمد بن جعفر المعروف بابن الدبيثي فمدحه في أول الامر، ولكنه هجاه آخره.

وزار البصره واتصل باميرها المشهور شمس الدين باتكين (١) فمدحه بقصائد من شعره وأولها قوله:

طمَا بحرُ الهموم به فمـــادا وعوضه من الغمضِ السهـــادا (٢)

وهي ثمانون بيتا، وقال ايضا يمدحه:

كره الله ما أحب الاعادي وابى ما أراد اهل العناد (٣)

وهي تبلغ ما يقارب خمسين بيتا.

ولما أراد مغادرة البصرة ودعه بقصيدة قال فيها:

أما الفراق فتأتينا رواحلـــه غدا، ويحدجن للترحال بعد غد

والله يعلم اني لا أُسَرّ بـــه لكن اخاف شقاء الاهل والولـــد

وهل يكون شقاء في الزمان لهم كفيتي عنهم مع ضيق ذات يدي

الا ووجهك اشهى من وجوههم عندي، وانهم الأفلاذ من كبدي (٤)

***

(١) هو باتكين بن عبد الله الرومي الناصري، ويكنى بابي شجاع، وبأبي المظفر. وكان عالما شاعرا وقد توفي في بغداد سنة ٦٤٠هـ.

(٢) الديوان ص١٨٢.

(٣) الديوان ص١٩١

(٤) الديوان ص ١٥٨

اتصاله بعلماء عصره :

هذا ولا يفوتنا ان نشير في هذا الفصل الى اتصالات شاعرنا ابن المقرب بعلماء واسط وبغداد وفقهائها امثال العالم الشافعي محب الدين الواسطي المشهور بالورع والتدين وبتضلعه في الفقه والفرائض والحساب ، وقد اثنى عليه ابن المقرب ، كما وقد اتصل بالاديب البغدادى ابن نقطه صاحب كتاب (المستدرك على ابن ماكولا وكتابه الاكمال) ولقد ذكر ابن نقطة ابن المقرب في كتابه المستدرك مثنيا عليه .

وقد اتصل ايضا بالعالم الحنبلي عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى الملقب بمحب الدين والمكنى بابي البقاء ، وهو نحوى فقيه صاحب تصانيف كثيره وكان لواء أهل العربية والأدب ببغداد ، وقد حكم لابن المقرب بالتفوق في الشعر وقد مر معنا ذكره في حياة ابن المقرب واستشهاد ابن المقرب بشهادته في الرد على خصومه .

وبهذا الموجز السريع والالمامة البسيطة برحلات الشاعر واتصالاته بأعيان زمانه ندرك مدى صلته بامراء عصره واعيانه في البحرين والعراق ، وندرك ثانيا أن لهذه الرحلات فضلا كبيرا في تنمية ثقافته وتزويده برصيد وافر من المعرفة بطبائع الناس وحياتهم ، كما ندرك الفارق وان لم يكن كبيرا بين شعر صباه في اليمامة وشعره عند اكتمال رجولته وتحمله لاعباء الحياة ووقوفه امامها كالطود الشامخ ، كما ندرك اخيرا ما وصل اليه التعاون الادبي بين القطرين العربيين في وقت كانت تسوده دياجر الظلام والفوضى والاضطراب . وتهدده [illegible] من كل جانب هجمات تتارية من المشرق وصليبية من المغرب .

الباب الثالث

شعره

يعتبر ابن المقرب بحق علماً من أعلام الشعر العربي، وفحلاً من فحوله المبرزين الذين رفعوا لواءه في عصر تصدعت فيه دولة البيان، وتتداعى فيه صرح الشعر، وافل فيه نجم الأدباء والشعراء — وهو القرن السابع الهجرى — حتى لقد اصبح الشاعر المجيد غير موجود. فهو قد نشأ وعاش في ارض الجزيرة العربية في ربوع البحرين، وهي أرض كان الشعر الجيد الرصين قد هجرها منذ أمد بعيد، فلم تعد صعيدا لفحول الشعراء. ولهذا فان عصر ابن المقرب عصر افقر من الشعراء الحقيقيين، فلم يكن هناك يومذاك شاعر يلفت النظر، ويسترعي الانتباه مثل ابن المقرب.

والقارىء لشعره يحس في قراءة نفسه أن وراء هذا الشعر رجلا عملاقا، وشاعراً له خطره وأثره، ويدرك لفوره بأن في معانيه من البعد والعمق والاتقان، وصدق الشعور مالا يقل بحال عما في معاني كثير من شعراء الضاد المبرزين.

فهو شاعر مجيد، تتمثل في شعره الأصالة والبراعة، ومتانة الفكر، وسمو الغاية، كما يتمثل فيه قوة العزيمة، وجبروت النفس وصدق التجربة.

ومن أبرز سمات شعره انه طويل النفس في معظم قصائده اذ تبلغ احيانا مايزيد على مائة وخمسين بيتا كما في قصيدته الميمية التي قالها وهو في بغداد سنة ٦١٣هـ مفتخرا بآبائه وأهل بيته، ذاكراً طرفا من ايامهم، وفضائلهم بدأها بقوله:

قم فاشدد العيس للترحال معتزما
وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما
ولا تَلَفَّتْ الى أهل ولا وطن
فالحر يرحل عن دار الأذى كرما(١)

كما وان معظم قصائده لا تقل عن الخمسين بيتا، وله من جزالة اللفظ، وقوة التعبير مايغطي هفوات المعنى أحيانا، ان وجدت عنده عند طول القصيدة.

أما معانيه فخمة وعميقة في عمومها. ولكن اخيلته ليست بعيدة، ولا واسعة التصور كما نجده عند فحول الشعراء كبشار والمتنبي، وهو في الاكثر شعره طبيعي

---

(١) انظر ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص٥٢٦.

العبارة يسيل الشعر على لسانه بدون عناء او تكلف، وربما كان يقوله على البديهة أحيانا، ولذلك جاء بدون اعياء فكر وعصر قريحة، بل ترى في اسلوبه انسياقا وتآلفا واجتنابا للتراكيب المعقدة للمعنى مع حفاظه على سمات الفخامة وعلو صحة اللغة.

ولئن اكتنفت شعره بعض الملاحظات البسيطة في اللغة أو النحو او العروض، أو ارتباك في التركيب، والتأليف — وما أقل ذلك عنده — فهو مما لا يخلو منه شعر شاعر حتى الفحول.

وهو في معظم قصائده ينهج منهج متقدمي الشعراء، ويسير على منوالهم ويترسم خطاهم، وسننهم، حيث يبدأ القصيد بغرض غير الغرض الاساسي الذى نظمت من أجله، ومنه ينتقل الى غرض آخر وربما الى اكثر حتى ينتهي ببراعة وحسن انتقال الى الغرض الرئيسي في القصيدة، وقد يستهل قصائده بالغرض الرئيسي بدون مقدمات.

ومن الملاحظ على شعر شاعرنا ان القصيدة لديه ليست وحدة قائمة بذاتها، وانما ذلك هو البيت — في الغالب.

ولقد قال فيه بعض النقاد وابدوا ملاحظاتهم على شعره ومنهم ابن ماكولا — حيث قال انه شاعر محسن..

وقال عنه الحافظ المندرى " كان شاعراً مجيداً مليح الشعر..." (١)

وقال عنه ايضا ابن الشعار الموصلي "... وكان شاعرا مجودا منتجعا كثير المدح قليل الهجاء جيد القول متينه، قوى اللفظ رصينه ...".

، وهو احد الشعراء الموصوفين، المشاهير في عصرنا المعروفين. أقر له بالحذق أئمة العراق من ذوى الادب والعلم. ومذهبه في الشعر مذهب المتقدمين، في جزالة الالفاظ، وابداع المعاني" (٢) وقال عنه ابن الفوطي انه " كان شاعرا مسترفدا جزل الالفاظ" (٣).

فبعد هذا الاستعراض السريع لآراء النقاد حول شاعرنا ابن المقرب ندرك أنه قد اعترف بشعره واستجاده نخبة من الادباء الأوائل فلا يسعنا الا أن نعترف بحقه والا نغمطه ذلك فقد ساهم في الشعر العربي مساهمة فعالة فجزاه الله عن الشعر العربي أحسن الجزاء.

---

(١) كتاب " التكملة لوفيات النقلة" في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ جـ٦٤ وقد ورد ذلك في جريدة اليمامة السعودية من مقالة للشيخ حمد الجاسر عن ابن مقرب في عدد ها سنة ١٢ ٣ تاريخ ٧/٩/٨١هـ.

(٢) ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤هـ في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) وقد ورد أيضا في مقالة حمد الجاسر عن ابن المقرب في جريدة اليمامة

(٣) ابن الفوطي المتوفي سنة ٧٢٣هـ في كتابه "تلخيص مجمع الآداب" عن المصدر السابق.

الفصل الأول

الاغراض الشعرية التي طرقها ابن المقرب

الاغراض التي نظم فيها شاعرنا لا تختلف في عمومها عما ألفه الشعر العربي من قبل ،فهو يلتقي مع فحول الشعراء الذين تقدموه في معظم أغراض الشعر من مدح وفخر ووصف وغزل ونسيب ،وحكمة . ولكنه يمتاز عن متقدميه ان شعره يعتبر بحق ديواناً لأمجاد عشيرته وذويه فقد سجل فيه مفاخر قومه العيونيين وأمجادهم . وقد ساعده في ذلك علمه الدقيق بتاريخ قومه وأيامهم ومواقفهم المشرفة وقضائهم على دولة القرامطة في هذه المنطقة بالذات،وأن نظرة خاطفة في ديوانه لجديرة جدا في ان تفصح عن ذلك تمام الافصاح . وقد تضمن شعره وخاصةشعر الفخر ثورة قوية من الحماس الذى ألهب مشاعر ابناءعمه ،كما تضمن شعره أيضا عتابا مريرا للامراء منهم الذين أصاخوا لقيل الوشاة والحاسدين فأضاعوا حقوقه وأضاعوا الدولة برمتها بسوء تصرفاتهم وحماقة آرائهم .

ولقد احتوى ديوانه ايضا على طائفة كبيرة من الاماديح كلها في قرابته ، وأمراء عشيرته ،أما أماديحه للولاة والأمراء الآخرين من غير اسرته فهي قليلة ،وصرف كثيراً من شعره في الشوق والحنين الى وطنه الغالي الذى غادره وتركه مكرها ، كما شارك بشعره في عرض الحكمة ،وقليل منه في الغزل والنسيب والرثاء ،وقال في الهجاء أبياتا تعتبر قليلة جدا بالنسبة الى اشعاره الكثيره ، والاقل من شعره في الوصف وفي اغراض أخرى متفرقة .

التقى شاعرنا ابن المقرب مع أبي فراس الحمداني في منهجه الشعري فكما كان شعر ابي فراس سجلا تاريخيا لامجاده وامجاد قومه فهو ايضا يمكن أن نلاحظه على شعر ابن المقرب ،اذ يعتبر تاريخيا سجل فيه كل صغيرة وكبيرة للدولة العيونية وهم قومه الاقربون الذين تربعوا على حكم البحرين فترة من الزمن . وفيمايلي سنحاول أن نستعرض الأغراض التي طرقها ابن المقرب في شعره مع الاستشهاد ما امكن بنماذج منه وفي مقدمتها غرض المدح .

المـــدح :

يعتبر غرض المدح الغرض الرئيسي الذى طرقه شاعرنا وبلغ فيه الذروة ، ومعظم ديوانه استغرقه في هذا الغرض ولكنه مع كثرة مديحه قد قيده بشروط فانظر اليه حيث يقول :

وليس في الشعر من فضل يطول به ... مثلي ولو فاق أعلى سبعها الطول (١)
بل فضل مثلي ان يسمو بهمتــه ... عن مدح فدم عن العليا في شغل (٢)

فمديحه أصفاه لمن يستحقون الثناء ، فهو لم يطر من لم يستحقه عن جدارة قط ، ولم يمدح في حياته من لا يستوجب المدح — وهو الفدم — لا من قريب ولا بعيد لا تربطه به صلة النسب ، فانه يحمد له — دون ريب — أن جعل مديحه واطراءه في معظمه وقفا على ابناء عمه ، علاوة على ان هذا المديح كان منصبا على غرض نبيل يتلخص في المطالبة بحقوقه المشروعة التي ورثها كابرا عن كابر عن أبيه وجده والتي اغتصبها منه عسفا وعدوانا ابناء عمه الذين لعب الوشاة به لديهم دورا كبيرا بدافع الحسد والحقد ، واهانة لهذا النبوغ المبكر في نفس هذا العبقرى . فمدحه لهم في عمومه انما هو من قبيل الاستعطاف والملاينة ، لم يرم به الى التكسب أو النوال كما هو شأن كثير من الشعراء على مر العصور .

وتبدو في أماديحه عامة عزة النفس ، وقوة الشكيمة وشعوره بجليل مكانته من قومه وعشيرته وخاصة انه لا يقل عنهم حسبا ولا نسبا وعقلا ، ولم يمدح من بني عمه الا من هو جدير بالمدح ، فهو القائل في احد ابناء عمه من ال فضل :

وانّي لَصَوانٌ لمدحي ولو نبَا ... بيَ الدّهر واجتاحت نوائبه وَفْرى
ولكنك المَلْكُ الذى من سمائـهِ ... نجومي التي تُضْمى ، ومن شمسه بدرى
ومن لحمه لحمي ومن دمه دمي ... ومن عظمه عظمي ومن شَعْره شَعْرى
وآباؤك الغر الكرام ابوّتـي ... وبحرك من تيار آذيِّهِ بحرى (٣)

وابن المقرب لا ينسى نفسه في مقام مدحه غيره .

وعلى هذا فمديحه لابن عمه هو مديح له هو نفسه في الحقيقة ولعلنا لا نبالغ حينما نقول أن هذا الاسلوب درج عليه ابن المقرب في اكثر اماديحه وخاصة لبني عمومته ، وفي هذه

---

(١) السبع الطول : ويعني بها السبع المعلقات على الكعبة .
(٢) الفدم : العي الثقيل من الرجال والقصيده في ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص٣٨٢ .
(٣) الديوان ص ٢٠٦ .

ا/ ادرا ، العوج

القصيدة روح تذكرنا بروح ابي فراس الحمداني ، وهو يملأ الآفاق بأناشيد العزة والكرامة وبألحان العروبة والقومية بعث بها من خلف أسوار سجن القسطنطينية الى ابن عمه سيف الدولة بحلب.

ولقد مدح شاعرنا بن المقرب ابناء عمه آل فضل بن عبد الله وأكثر من مديحهم بما كان سببا في اثارة حقد الفرع العيوني الآخر المنافس لآل فضل في الحكم على الشاعر ، فعندما أمسك هذا الفرع بزمام الأمر اعتقدوا أن للشاعر مطامع خاصة في الحكم وذلك بفعل الوشاة والحاقدين ، ومن ثم ناصبوه العداء ثم صادروا أملاكه ، وأودعوه السجن ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان السبب في هذا الكره ، وهذا التحدي ليست الا قصائده في آل فضل ، ومما يدل على ذلك ما ورد في القصيدة التي يمدح بها الامير مقدم بن ماجد — من آل فضل — والتي مطلعها :

أأسكتُ عن مولى الورى أم أعاتبه ... وأهمل وعدى عنده أم أطالبه ؟ (١)

ففيها يقول :

ولولا هواكم ما شقيتُ ولا غدا ... يَصُكُّ برجلي القيد من لا أشاغبه

ولا اجتاحت الاعداء مالي ولا انبرى ... يطاولني من ليس تُحصى معائبه

ويدل على ذلك ايضا قوله مخاطبا آل فضل :

أما أجتيحَ مالي في هواكم وأُسهِرَتْ ... بذا السجن عيني والعيونُ نيام ؟ (٢)

وقوله ايضا فيها :

اذا كنت اخشاكم واخشى عدوكم ... فان حياتي شقوة وغرام (٣)

وقوله :

فبوركتمو يا آل فضل فانكم ... ضياء ، وبعض المالكين ظلام (٤)

ولقد اختلقوا مبررات لحقدهم عليه ومضايقته وذلك أمام الناس فقط وإن لم تكن صحيحة.

ومع هذا فانه للأسف الشديد لما اصبح الحكم في ايدى آل فضل ، لم يسلم من الأذى ، فقد وشى به لديهم ، فتدهورت علاقته بهم أيضا ، ذلك أن خصومه خشوا أن ينجم عن علاقاته الطيبة مع آل فضل بروز صيته وظهور أمره ، فصوروه لهم بصورة كاذبة ،

---

(١) الديوان ص ٩٥ ،   (٢، ٣، ٤) انظر الديوان ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

ووجد وامضهم تجاوبا في ذلك مما جعل شاعرنا يعيش حياته شريدا متقلبا بين خصومه من عشيرته .

ومن قوله في الفضل بن محمد مادحا له ومذكرا اياه بما ناله من أذى نتيجة مدحه لهم بادئا لها بقوله .

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد	وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ
اذا خانك الادنى الذى أنت حزبه	فلاعجبا ان اسلمتك الاباعد (١)

ومنها قوله :

أيا فضلُ قد طال انتظارى ولم يقُم	شتاءً وقيظاً عند مثلك وافدُ
وقد زالت الأعذار لا الغوضُ بائرٌ	ولا البحر ممنوع ولا الدَخل فاسد
ولا انت محجور التصرف في الندى	عليك رقيب في نوالك راصد
ولا في بني فضل بخيل وانهم	اذا اغبرت الآفاق غُرٌ أماجد
فمن اين يأتي اللوم يابن محمد	ومجدك في بيت العيوني زائد
أترضى بأن تغدو تسامى ركائبي	حمولاتها كبر انها والمقاود
لحق مديحي ام لحق مودتي	لكم ام لأن البيت والجد واحد
فلا تقطعن مابيننا من مودة	وقربى وخل الشعر فالشعر كاسد
ولا تنسَيَنَّ مانالني في هواكم	وقد ظفر الساعي وقلّ المساعد
يقومه حيا نزار ويعْرُبٍ	شهودٌ وفي الدعوى يمين وشاهد
لقد كنت ارجو في جنابك حاله	يموت لها غيظا غيور وحاسد
فهات فقل لي ما أقول لاسرتي	فكل عن الاحوال لابد ناشد
وكُلُّهم سامٍ الى بطرفْه	يظن بأن الزارع الخيِّر حاصد
ومافضل من لا يُرتجَى لِمُلمَّةٍ	تُلِمُّ ولا تُبغَى لديه الفوائد (٢)

الخ ...

وقد بلغت هذه القصيدة العصماء ثلاثة وسبعين بيتا .

ومنها الحقه به الفرع الثاني وهم — آل أبي منصور علي بن عبد الله — من أذى ومضايقة ،

(١) ديوان الشاعر ص ١٤٠

(٢) السابق ص ١٤٦ .

وسجن ومصادرة أموال فقد اشاد بمتقدميهم ،وافتخر بكثير من اعرائهم الذين شهروا بجانب من جوانب المروءة والنجدة والشجاعة والهيبة والكرم .

وممن مدحهم من هؤلاء الامير علي بن عبد الله ، والامير شكر بن علي بن عبد الله ، والامير محمد بن منصور بن علي ، كما وقد مدح ـ ولكن على قلة ـ بعض الخلفاء والـ..ولاة والامراء الاخرين ،في العراق خاصة ممن وجد فيهم الصلاح والخير كالخليفة العباسي الناصر لدين الله احمد بن المستضيء ،فقد كان يرى شاعرنا ان فيه بقية من أصل العرب والمسلمين ، كما وقد مدح الامير شمس الدين باتكين امير البصرة ،الذى اشتهر بسداد الرأى ، وبعد النظر وزكاء العقل والروح ، وقد عرف بين العامة والخاصة بحب الخير والعطف على اليتامى والمعوزين . كما وأنه قد نشأ بينه وبين بانكين مودة وصحبة وتعاطف فكان ذلك مدعاة لمدح بانكين فقد قال فيه قصيدة بدأها بقوله :

طما بحر الهموم به فمــادا وعوضه من الغمض السهــادا (١)

وهي تبلغ ثمانين بيتا ،وقال فيه ايضا مادحا له بدأها بقوله .

كرِهَ اللهُ ما احَبَّ الاعــادى وابى ما أراد اهل العنــاد (٢)

وقد قال في اطرائه قصيدة منها :

ولستُ بمهدٍ للرجّال مدائحي ولو قلَّ مالٌ او تغيّرَ حــال
ولكن نُعمىً حرّكتني وصحبــةٌ وُودٌ . وهذ المكرام صقــالُ
فلا ظفرت منك الاعادى بغفــرةٍ ولا زلتَ تغزوا أرضَها فتُــدالُ
وجزت المدى يا باشجاع ولا عــدت فناءوك من بعد الرّحال رِحَالُ (٣)

وربما مدح بعض الناس اتقاء لشرهم فلم يتركوه ايضا وفي معرض ذلك يقول :

مديحي رجالاً بعضهم اتّقي بــه أذاه وبعضاً للمراعاة والــوُدّ
فَلا الوُدُّ كافي ذا ولا ذا اكَفى الاذَى ولا نظروا في باب ذمٍّ ولا حمــد (٤)

ومع ما ذكرناه لشاعرنا من امثلة للمدح فان ذلك لا يمثل الا الشيء اليسير والذى يحكي فلسفة المديح عن شاعرنا العيوني ،وهي فلسفة لها ما يبررها فان من كان بمنزلته لا يسعه

---

(١) الديوان ص ١٨٢ (٢) السابق ص ١٩١
(٣) الديوان ص ٤٣٨ . (٤) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ١٣٥

الاسلوك هذا المنهج اتقاء للشر وطمعا في الانصاف وحفظ الود ، وابقاء للحكم في أيدى قومه من أن ينفلت منهم الى الخصوم والمناوئين ، ثم تسجيلا وتخليدا لمناقبهم ومناقب سواهم من الملوك والأمراء والولاة الذين شهروا بالفضل والنبل وعرفوا بالرجولة والشهامة .

الفخـــر :

الفخر غرض من أبرز الاغراض التي نظم فيها ابن المقرب شعره ، وأسهم فيه بحظ وافر ، والمطلع على ديوانه أول مايطالعه هو هذا الغرض الذى صال وجال فيه ، وكيف لا يكون هذا ، وقد وجد الشاعر عدته التي تعيينه في ذلك وهو رفعة نسبه وقومه وعشيرته ، فدخل ابن المقرب باب الفخر والحماسة من أوسع ابوابه ، فالسيادة في شرق الجزيرة العربية كانت لقومه ، انتزعتها — كما عرفنا سابقا — من أيدى خصومهم بعد معارك وصولات حاصدة طاحنة ، واستطاعت هذه الأسرة أن تفرض سيطرتها مدة من الزمن على الآخرين فوقفت سدا منيعا ضد عبث البادية وهجمات الطامعين ، ويكفي الدولة العيونية فخرا اخراج القرامطة من البحرين واسقاط دولتهم على يديها .

هذا الى ماعرف به امراؤها من اصالة في الفضل والكرم والشجاعة والاباء ، والبذل والعطاء الامر الذى انطق الالسنة بالثناء عليها وبعث في النفوس اكبارها .

فليس على شاعرنا الا ان يسجل هذه الامجاد وهذه المفاخر وان يحيلها ببراعته وفكره الى ألفاظ ملتهبة ، وعبارات متأججة ، ليحفظها الزمن والتاريخ لقومه وقد فعل ذلك . فاعتبر بحق واحداً من شعراء الفخر والحماسة المبرزين ، فاستمع اليه وهو يفخر بقومه مبالغا في ذلك اشد المبالغة :(١)

هُمُ الناسُ كلُّ النّاسِ والنّاسُ فضلـــهُ	اذا نابَ أمرٌ أطٌ من حمله الصُّلبُ (٢)
بهم يُدرك الشأو البعيدُ وعندهم	لِمُلْتَمِسِ المعروفِ ذُو مربع خَصْـبُ
وفيهم رباط المكرمات وراثـــةً	يُوَرِّثُها المولود والده النَّـــدْبُ
ولولا إياديهم وفضل حلومهـــم	لزلزلت الارضون وانْقضّت الشهب
خفافٌ الى داعي الوغى غير أنهـم	ثقال اذا خفّتْ مصاعيبُها الهُلْبُ (٣)
اذا الجار امسى نُهْبَـةً عند جاره	فأموالهم للجار مابينهم نهـــبُ

---

(١) الديوان تحقيق الحلو ص ٢٩ . (٢) هم الناس : يعني آل ابراهيم : الأطيط : صوت يظهر عند الحمل الثقيل والصلب : الظهر .)

(٣) مصاعيبها : الفحول من الابل ، الهلب : جمع اهلب ، وهو كثير هلب الذنب .

أطاعت لهم مابين مصر الى القنا ... الى حيث تلقى دارها الشحر والنقب (١)

وجاشت نفوس الروم حتى ملوكها ... اذا ذكرت املاكهم هزها الرعب

تحن الى بذل النوال اكفهم ... حنينا كذات السقب فارقها السقب (٢)

فأكثر ماتلقاهم ولباسهم ... جبيك الدلاص التبعيات لا العصب (٣)

لهم أبدا ناران : نار بها الصلا ... تلذ ونار لا يقاومها الهضب (٤)

وأيامهم يومان يوم لنائل ... يقول ذووا الحاجات من فيضه حسب

ويوم تقول الخيل والبيض والقنا ... به والعدى : قطنا فلاكانت الحرب (٥)

وان صن بالعدان كان قراهم ... سديف المتالي لاعتود ولا وطب (٦)

أولئك قومي حين ادعوا وأسرتي ... وينجبني منهم شمارخة غلب

***

هذه القصيدة تعتبر بحق من روائع فخرياته التي نظمها متحمسا فيها لمجده وعروبته فألفاظها جزلة منتقاة ، وعباراتها متينة متناسقة ، ومعانيها قوية جبارة ، وروحه فيها متطلعة متحمسة ، وكل ذلك جاء متناسقا وملائما مع الغرض في القصيدة ، فلعلنا لا نبالغ حين نقول انها لا تقل عن مستوى قصائد الفخر الجيدة في الشعر العربي عامة . ولئن اكتنف القصيدة بعض المبالغات ، فان ذلك كان في غمرة الحماسة التي أستولت عليه دون شك وهو يعدد مفاخر قومه . ولقد استطاع بجودة تعبيره ، وفخامة ادائه أن يغطي هذه المبالغات ليجملك تسلمه برأيه كحقيقة لاغبار عليها .

ويكفي شاعرنا فخرا قصيدته الميمية التي جادت بها قريحته فمضى محبرا فيها أمجاد قومه وعشيرته ومواقفهم المشرفة وهي تبلغ مائة وخمسين بيتا وتعتبر سجلا تاريخيا للدولة العيونية وقد بدأها بقوله :

قم فاشدد العيس للترحال معتزما ... وأرم الفجاج بها فالخطب قد فقما

---

(١) القنا : موضع باليمن ، والشحر : ساحل البحرين بين عمان وعدن ، والنقب : بلدة باليمامة

(٢) السقب ولد الناقة . (٣) درع دلاس : ملساء لينة ، التبعيات : نسبة الى تبع اليمن والعصب : مايشد على الجسم .

(٤) الصلا : الشواء ، والهضب الجبل المنبسط ، ويقصد بالنار الاولى نار الضيافة ، والثانية باسهم وشدتهم . (٥) قطنا : اسم فعل بمعنى كفانا .

(٦) العدان : هوالحولي من ولد المعز . والسديف : سنام الابل ، المتالي : الابل لم تنتج حتى صافت .

ومنها :

أنا ابن اركان بيت المجد ـ لا كذبا ـ | والنازلين ذرى العلياء، والقمما
قومي هُمُ القومُ في بأسٍ وفي كــرمٍ | انْ ادّعَى غيرهم مافيهُمُو وهَمَا
في الجاهلية سُدْنا كل ذي شــرفٍ | بالمأثرات وسدنا العُرْبَ والعَجَما
وصار كل (معدى) لنا تبعــاً | يرعى بأسيافنا الوسمي حيث هما
حُطْنا نزار وذدنا عن محارمها | ولم ندع لمنادىعزها حرما
حتى أتى الله بالاسلام وافتتحت | كل البلاد واضحت للانام سما
وفضل آخرنا عن فضل أولنـا | يفني ولكن بحراً هاجَ فالتَطَما
شدنا من المجد بيتاً لا يقاس بـه | ذات العماد ولكن لم تكن أرما
سل القرامط من شظى جماجمهـم | فلقاً وغادرهم بعد العُلا خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهـم | وارجفوا الشام بالغارات والحرما

ومضى في هذه القصيدة العصماء، شارحا مافعله القرامطة ببلاده من تقتيل للانفس البريئة وتعطيل للشعائر الدينية، وشارحا افضال قومه العيونيين في مناهضة هذه الطائفة، وبلاءهم البلاء الحسن في محاربتها حتى تحقق على أيديهم ما كان أهل البلاد يصبون اليه من عزة وكرامة واستقلال، ثم عطف بعد ذلك معددا مفاخر أفراد عشيرته البارزين عارضا كل ذلك بأسلوب جزل يذكرك بدولة الشعر العربي في ازهى عصوره .

ومن هذه القصيدة مفتخرا بالامير فضل بن عبد الله بن علي العيوني قوله :

منا الذى قام سلطان العراق له | جلالة والمدى والبعد بينهما
منا الذى حاز من تاج ومن قطر | وصير الرمل من مال العَدُوِّ حمى

ففي البيت الأول يشير الى قصة طريفة، تشهد بعظمة كرم الفضل وملخصها : أن تجاراً من البحرين قدموا الأحساء فغرقوا في الطريق ونجو بأنفسهم ولكن بضائعهم التهمها البحر، فأرسل الفضل وبحث عنها وهي قريبة من الشاطيء فوجد الشيء الكثير منها، فدعا بالتجار واعطى كل صاحب بضاعة بضاعته، ومنهم صاحب جواهر ثمينة اعطاها له فذهب الى العراق ليبتاعها، فعلم بذلك سلطان العراق فاستولى عليها ودفع لصاحبها ثمنا بخسا، فلم يأبه بذلك التاجر بل زاد على ذلك فقال للسلطان خذها بلاقيمة فانها هبة من عربي كريم، فانتبه السلطان وقال من هو : فقص عليه القصة فوقف السلطان اجلالا لذلك الامير ودعى بكاس من شراب ـ كما تقول الرواية

وقال انما احتسي هذا واقفا من باب الاقرار بالفضل لسيد البحرين، وبفضل اريحيته، وبعدها امر بدفع ثمن الجواهر كاملا بدون نقص.

ومن افتخاره ايضا بالامير ابي سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن علي قوله فيها :

منا الذى حين عد الألف خازنه | لضيفه قال: ضاعفها ارى أمما

وذلك حينما وفد عليه وافد فأعطاه الفاً ورأى انها قليلة فأمر بضعفها وهذا من مبررات كرمه فقد انتقصها حينما رآها.

وقال فيها ايضا :

منا الذى من نداه مات عامله | غما وأصبح في الاموات مخترما

وكقوله ايضا في أحدهم وهذا منها :

منا الذى جاد ايثارا بما ملكت | كفاه لا يد يجزيها ولا رحما

ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة عادا مفاخر قومه، ذاكرا مواقفهم المشرفة فردا فردا حتى انها تعتبر بحق سجلا تاريخيا للدولة العيونية من أولها الى آخرها.

واخيرا يختم قصيدته هذه قائلا :

أبياتنا لذوى الآمال منتجع | اذا الزمان يرى كالصير أو عرما

وماعددت عشيرا من مناسبنا | ومن يعد ثرى يبرين مرتكما (١)

وخيرما يقال عن هذه القصيدة العصماء أنها بمثابة سجل خالد في ضبط اصلاحات العيونيين وامجادهم، كما تعتبر صفحة تاريخية طبعها ابن المقرب على جبين الدهر تشهد بفضل العيونيين بالاضافة الى أنها مصدر من مصادر التاريخ السياسي لهذه الناحية من جزيرة العرب. وفخره لا يقف في الغالب عند عشيرته بل يتعداها الى قبيلته الأم، عبدالقيس، واحيانا الى ربيعة بل والى معد وعدنان كما رأينا في أول القصيدة.

() () ()

(١) يبرين: واحة في الربع الخالي من جزيرة العرب تكثر رمالها.
والقصيدة في ديوان الشاعر ص ٥٥٤.

الشكوى والانـين :

قضى ابن المقرب حياته في ضنك وضيق فبات في هم وحزن فأبناء عمه ضايقوه وسلبوا أمواله وأودعوه السجن مطاوعين فيه قيل الوشاة والحاسدين فظل صوت الحرمان واضحا مجلجلا بين ثنايا شعره ،وظل حظه العاثر في الحياة مصدرا لبث شكاته وانينه ،ونسمع هذا الانين والشكوى اكثر مانسمع في كثير من قصائده التي قالها في الامراء من بني عمه الذين اغتصبوا أمواله واملاكه ، فتصور أن الشر والاذى يحيط به من كل جانب ،كما تصور تحالف الرزايا والمنايا ضد طموحه وآماله . فهو كما عرفنا عنه من بيت أمار عريق في المجد ولكن حظه العاثر وقف امام مطالبه سدا منيعا ، فاستمع اليه وهو يقول : ساخطا على زمانه وتبرما منه :

أفي كلّ يومٍ للخطوب أصالني ... ألا مالأحداث الزمان ومالي ؟
يفجّعني في كل يوم يمر بي ... بأنفس مالٍ او بأشرف آل
أرى الشر قداما وخلفا واتقي ... نبال الاذى عن يمنة وشمال
اذا قلتُ جلىً بعضُ همّي اتتْ له ... نوائبُ أمضى من حدود نِصال
كأن الرّزايا والمنايا تحالفا ... على عكْس آمالي وبثُّ مآلي (١)
لحَى اللهُ هذا الدهرُ كم يستفزني ... لخوض بحار أو لشقّ جبال
يُكلفني جرْى الجواد وقد لوى ... شكالا على ساقيّ خلفَ شِكال (٢)
وقد مخّى مُخّ العظم حتى ازاره ... وبدّ له من نيّه بهزالَ
وهل يقطعُ الشكلُ الجوادُ على الونى ... ولوجال في الآرىّ كلّ مجال (٣)
أقول وقد فكرت في أمر خِلّتي ... وأمرى وحال الارذلين وحالى
الا ليتني قد كنت خدنا مخادنا ... لخيط نعام في الفلا ورئال (٤)
ولم أك عارفت اللئام ولم أنط ... حبال خسيس منهم بحبال (٥)

فنرى في هذه الابيات شكواه من الزمن وقد قلب له ظهر المجن كما شكا خسة اللئام ، والمغتابين ،المخادعين الذين يتلونون بكل لون ،ويتقلبون في كل مذهب ،فقد مني بصدا اقضعاف النفوس ،وصغار القلوب ،وسيء الطبع والخلق ممن لم يراعوا للود

---

(١) بث مآلي : وقطع رجعي . (٢) الشكال : الحبل الذى تشد به قوائم الدابة .
(٣) الونى : الضعف والاعياء ،والارى : ما يعقل به الفرس .
(٤) خدنا : صديقا ملازما ،خيط نعام : الجماعة من النعام ،الرئال : فراخ النعام .
(٥) ديوان الشاعر : ص ٤٠٠

حقا ولا للصداقة وفاء ، ويستمر في وصفه لهم فيقول :

فلم أر منهم غير خِبٍّ يمد لـي	لسان مُحِبٍّ من طَوِيَّة قـال[1]
له شيمة السنور في لُطْفِ خَدْعِـهِ	ولكنَّه في اللَّمس حيَّة ضـال[2]
اذا جئت قدَّآني وابدى بشاشـةً	ولا حظني منه بعين جـلال
وان غبتُ أدنى ساعةٍ من لِحَاظِهِ	تَمَحَّل في غَيْبي بكل مِحَـال[3]
الى الله اشكو مُنْجَمي في معاشر	هُمُو شر ماضٍ في الزمان وتال[4]
صحبتهمو مستصفياً فوجدتهم	أليم عذابٍ في اشد نكـال
اذا قلت حل الدهر غلّ صدورهم	ابتسوء أخلاقٍ وقبحُ خِصَال
ولا ذنب لي الا حِجَى وبراعـةً	ومجدٌ وبيتٌ في ربيعة عـال
وميلي الى أهل التواضُعِ والعُلى	بودّى وبغضي الاسفَلَ المتعالي[5]

()()()

ومن شكواه في حاله،مع ابناء عمه الذين صادروا أمواله وأودعوه السجن نتيجة لقيل الوشاة والحاسدين في معرض كلامه عنهم قوله :

وقد كنتُ ذا مالٍ حلالٍ وثـروةٍ	يُضَاعِفُ إكْرامي وتُرْجَى مكارمي
فأعراني الوالي المشوم وفاتـني	بما حُزْتُه من ضيعة ودراهـم
فمال على حالي ومالي وثروتـي	مآلى وأصغى لاختلاق النمائم
وبتُّ عزَاى السّجن في مُدّ لهمَّـةٍ	يُجاوبني فيها ثِقالُ الأداهم[6]
وأخرجني من بعد يأسٍ وقد أتـى	على نَشْبي أشكو الوغير راحم[7]

صدقا ان هذه الابيات تفيض بساخن الدمع وتنبيء عن غصة نفس وحسرة أمل ،كما انها تحكي قصة حرمان في حياة هذا الشاعر العبقري العظيم.

---

(١) الخب : المخادع ، والطوية : ماتخبئه النفس، القالي : المبغض. (٢) الضال من السدر : ماكان عذبا ، أو السدر البرى. (٣) المحال : الكيد وروم الامر بالحيل والكذب.

(٤) منجمي : ظلوعي بينهم ووجودى فيهم.

(٥) القصيده تبلغ ثلاثة وسبعين بيتا كلها شكوى وانين من الزمن وأهله وهي في ديوان الشاعر ص٣٧ .

(٦) الاداهم : القيود .

(٧) القصيدة في ديوان الشاعر ص ٤٩٦ .

العتـــاب والنصـــح :

عاش شاعرنا ابن المقرب محروما من عطف ابناء عمه الذين يتقلدون مناصب الخلافة بل لقد لقي منهم الامرين ، فقد سبوا أمواله واملاكه ولم يكتفوا بذلك بل اودعوه السجن وضايقوه حتى ترك لهم البلاد ، وذهب يهيم على وجهه في شبه الجزيرة العربية ، الا انه مع هذا كله فهو حريض على اخبار دولته وابناء عمه يتفقدها قربت أم بعدت به الدار ، فكان يوجه لهم اللوم والعتب على معاملتهم اياه كما يوجه لهم النصح اذا رأى في ذلك مصلحة لهم ، فكان يعتب في شعره على بعض الامراء الذين ابعدوه خوفا منه ، واسلموا مقاليد الامور وازمة الحكم الى حثالات الناس من اتباعهم وحاشيتهم ، الامر الذي عاد بأوخم النتائج ، على الدولة فيما بعد ، بل وكان سببا من أسباب تدهورها ، فقد عمل هـــؤلاء من طرف خفي على الكيد لهذه الدولة حتى استطاعوا اسقاطها فيما بعد .

وقد حاول ابن المقرب نصح قومه وتنبيههم ولكنهم لم يصغوا له ولم يعيروه بالا بل لقد نفروا منه وتشككوا في اخلاصه وفي مساعيه ، واعتقدوا انه منافس لهم مما حدا بهم — كما قلنا — الى مضايقته بل والى تتبع حركاته وسكناته ، وقد صور ذلك ابن المقرب حيث قال في قصيدته التي بدأها بقوله :

دع الكاعب الحسناء تهوى ركابها ... وتُبْنَى لها من حيث شاءت قبابها[1]

ومنها قولـه :

وما شجاني — يا لقومي — فعبرتي ... لدى كل حين لا يجف انسكابها

تَضَاغُنُ املاكٍ ابوها اذا عْـتَزَتْ ... أبي ونصابي حين أُعْزَى نصابها

أبَى أن يلُمّ الدهر فيما يلمُّـه ... عصاً بينها او أن يُرَجّى اعتتابُها

أطاعتْ مقالات الأعادى وغرَّها ... تَمَلّقُها في لفظها واخْتلابها

فانحت على ارحامها بشفارها ... وأوهن عظم الاقربين اصْطلابُها

ولو قبلت نُصحي واصغت لدعوتي ... وانجح فاشي دعوةٍ مستجابُها

لداويتُ كلْمَاها وابرأتُ داءها ... فلم يتحلَّمْ، بعد صِحٍّ اهابُها[2]

---

(١) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٤١ .

(٢) كلماها : جرحاها ، وحلم الجلد : وقع فيه الحلم وهو دود يقع في الجلد فيأكله فاذا دبغ وهي موضع الاكل .

وقدتُ الى اللّيثِ السّهندى ولم أنَم | على الغَمْرِ حتى يصحب الغِيلَ لامُها [1]
ولكن لأمرٍ أخّروني وقدّموا | زعانفَ لا ينهَى العدُوّ واحتسابُها
تُصيبُ وماتَدْرى وتُخطي وما درَتْ | وتَعْدُو وفي حبل العدوِّ احتطابُها
فيا صفقةَ الخسران فيما تبدّلوا | وهل يتساوى تبرُها وترابُها ؟
وهل قيست الخيلُ العراب بعانةٍ | كُداديّة لا يلحق الضبَّ جابُها [2]
لذا طمعت فينا البرايا واصبحت | تَهِرُّ علينا كالشُّرات كلابُها [3]
وشالت لنا ان نابُها مُقذَ حسَرةً | وعَهدى بها تسطو علينا ذئابُها

فانظر كيف اختلط عتبة بالحسرة والكمد والالم فهو بهذا يعبر عن صدق شعور كامن في نفسه تجاه موضوع العتب. ومن أروع قصائده في العتب، قصيدته التي يعتب فيها على الامير فضل بن محمد بن احمد بن الحسين، ويشتد عليه فيها باللوم لجفائه له، وقطيعته لحق القرابة، والاستهانة بحقوقه لديه، ويذكره فيها بما مضى ضاربا له الامثال الموجعة، ومظهرا له آيات الندم على مديحه له في السابق، ويقال أنه انشدها له ثم رحل وهي تبلغ ثلاثة وسبعين بيتا، ومطلعها :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد | وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنو الذى أنت حزبه | فلاعجبا ان اسلمتك الأباعد [4]

ومنها :

أيا فضل قد طال انتظارى ولم يقم | شتاء وقيضا عند مثلك وافد
وقد زالت الاعذار لا الغوص بائر | ولا البحر ممنوع، ولا الدخل فاسد
ولا أنت محجور التصرف في الندى | عليك رقيب في نوالك راصد
ولا في بني فضل بخيل وانهم | اذا اغبرت الآفاق غر أماجد
فمن اين يأتي اللوم يابن محمد | ومجدك في بيت العيوني زائد
أترضى بأن تغدوا تسامى ركائبي | حمولاتها كيْرانها والمقاود

---

(1) السسندى : الطويل، والجرىء من كل شيء، والغمر : الجواد أو الماء الغامر، واللام جمع اللامه وهي الدرع.
(2) العانة : الاتان. الكدادية : نسبة الى كداد فحل تنسب اليه الحمر. الحأب : الحمار الغليظ. (3) كالشرات : الشرات فرقة من الخوارج، وغلب الظن ان الناسخ اخطأ والصواب : تهر علينا كاشرات كلابها . أو سابل .
(٤) القصيدة في ديوان الشاعر ص ١٤٠ . والبيت الثاني قيل ان الملك عبد العزيز آل سعود كتبه على احد ابواب قصره في الرياض وكان — رحمه الله — كثير القراءة لشعر ابن المقرب العيوني .

لحق مديحي أم لحق مودتي	لكم أم لأن البيت والجد واحد ؟
فلاتقطعن مابيننا من مودة	وقربى ، وخل الشعر فالشعر كاسد
ولا تنسين مانالني في هواكم	وقد ظفر الساعي وقل المساعد
يقوم به حينا نزارا وتغلب	شهود ، وفي الدعوى يمين وشاهد
لقد كنت ارجو في جنابك حالة	يموت لها غيظا غيور وحاسد

(*)(*)(*)

وكان الامير ابو القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله العيوني هو الذى سقطت الدولة على يديه نظرا لضعف شخصيته وحسن ظنه بالناس كما كان كثير الاعتماد على غيره فقرب وعانف القوم ، وابعد افراد عشيرته مما كان سببا في هدم صرح الدولة العيونية ، فقال ابن المقرب يعتب ويتوجع على ما أصاب أهل بيته على يد هذا الامير فقال (١) :

بعض الذى نالنا يا دهر يكفينا	فامنن بها وادعها يدا أفينا

ومنها :

ان كان شأنك ارضاء العدو بنا	فدون هذا الذي يرضي معادينا
الحمد لله حمدا لا نفاد له	اذ لم يكن ضعفنا الا بأيدينا

ويقول فيها ايضا :

فما المعادى لنا أولى ببغضتنا	من ابن عم مدى الايام يوئذينا
أعزز على (ابن علي (٢)) والاكارم من	آبائنا ان يسيم الضيم واد ينا
نال المعاند منا مايحاوله	سرا وجهرا وتعريضا وتعيينا
رامت ذوو امرنا اطفاء جمرتنا	فعند ها الحقوا الاحساء بيبرينا

وقيل انه دخل على الامير وانشده اياها وعاتبه عتابا مراً ، ولكنه انكر أن يكون سببا في شيء من ذلك فقال له فعلتها غير متعمد بل خدعة من الجلساء وانصرف غاضبا ، وهي انه رضى بشروط اخذها عليه الثوار من الاعراب وذلك بمشورة جلسائه الذين يكيدون للدولة وللخلفاء .

=•=•=

---

(١) ديوان الشاعر ص ٦١٠ .
(٢) يعني عبد الله بن علي موءسس دولة العيونيين .

الرثـــــاء

ساهم شاعرنا في غرض الرثاء ،بقصائد عديدة ،والرثاء ـ بطبيعة الحال ـ يقوله الشاعر لا لطلب الجزاء ،عليه أو المكسب من ورائه وانما هو وفاء من الشاعر لمن تخترمه يد المنون من أعزائه وأقربائه أو أصدقائه وذلك في ذكر مزايا الفقيد وتنويهها بخصاله الحميدة من كرم ووفاء وشجاعة وكل ما يضفي عليه الجلال والذكر الحسن ،وشعر ابن المقرب في غرض الرثاء يحكي حالته النفسية في صدق الشعور بالمصيبة ،وهو يحكي كمدا وأسى عميقين في نفسه ،ويصور تأثره وعاطفته في ذلك. وقد رثى ابن المقرب كل عزيز افتقده في حياته سواء من ابناء عمومته او غيرهم من عظماء الرجال والعلماء الذين عرفهم ومنهم الامير أبو علي محمد الحسين بن محمد بن علي ،والرئيس الحسن بن عبد الله بن احمد ،والقاضي محمد بن ابراهيم المستوري، وابن عمه الادنى مذكور بن عبد الله بن منصور بن مقرب.

ومن رثائه للامير ابي علي محمد بن الحسين ، وقد توفى في القطيف بأرض العزار قوله :

ولا بُدَّ لي من وقفة قبل رحلةٍ	أُذيل بها دمعي فينهلُّ وابلُه
على جدثٍ أضحى به المجد ثاويا	بحيث ترى شط العزار مقابله
لأسأل ذاك القبر هل غيَّر البلا	محاسن مجد غيبتها جنادله
وهل هَمَّتا الموتى باشعاء غارة	يثار بها من كل جو قساطله
فقد نامت الاحياء عن الغزو واستوت	بكل سبيل أُسده وخياطله
فياعجبا من ملحدضم فيلقا	وطودا وبحرا يركب المزن عاقله
مضوظاهر الاخلاق والخيم لم يمل	الى سفه يوما ولا خاب آمله
فيالك من مجد تداعت فروعه	ومال ذراه وانقعرت أسافله
ليبك العلا والمجد والباس والندا	لقد ضل واديها وجفت مسايله
وتند به البيض الصوارم والقنا	لما انهلتها كفه واناملة
لقد منيت فيه الاعادي بثائر	همام ابى أن يحمل الضيم كاهله

وفي هذه القصيدة نلمس مدى تأثر الشاعر بالفجيعة ،واندماجه مع غرضه ،وصدق شعوره ،ولقد بدأ التأثر واضحا وجليا في تعبيره ومعانيه.

---

(١) ديوان الشاعر ص٣٣٠

ولقد رثى أحد أصدقائه وهو العالم والقاضي محمد بن ابراهيم المستوري بقصيدة تتكون من ثلاثين بيتا قال فيها :

اجعد ابن ابراهيم يا دهر يبتغي — اليك خلوداً وترجى صنائع
تعست لقد علمتنا بعده البكا — وعرفتنا بالتكل ما الحزن صانع
فتى كان برا بالعشيرة راحما — رؤوفا بها لا تزدهيه المطامع
ولم تلفه في محفل من نديه — يشارى على ما ساءها ويبايع
ولو شاء جازى بالعقوبة قدره — ولكن له من خشية الله رادع
يصيد عن العوراء حتى كأنما — به صمم عما يقول المقاذع
كريم الثنا تأبى الدنية نفسه — همام لابواب الحوادث قارع
له حكم مأثورة حين تلتقي — بآرائها عند الملوك المجامع
يقول فلا يخطى اذا ما تأخرت — عن القول سادات الرجال المصاقع
جميل السجايا كلما ازداد رفعة — تواضع حتى قيل ما ذا التواضع ؟
سواء عليه في القضية من دنت — به الرحم القربى ومن هو شاسع
نشا مذ نشا لم يدر ما الجهل والخنا — وساد بني ايامه وهو يافع

ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة يعدد فيها مزايا الفقيد القاضي ، وفي نهايتها يختمها معزيا أخا الفقيد بقوله :

تعز فكل سالك لسبيله — وكل امرى من خشية الموت جازع
ونحن سواء في المصاب وان نأت — بنا الدار فالارحام منا حوامع
ولا شك منا في التأسي وانما — نعزيك اذ جاءت بذاك الشرائع (١)

فابن المقرب صادق الرثاء ، ويمكن للقارئ أن يلمس هذا التأثر من خلال قراءته للابيات ولذلك كان وفيا حميما لأصدقائه وأقاربه .

---

(١) ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٧٩ .

غـــرض الحكـــة :

الحكمة كما قيل وليدة التجربه ، وقد عرف الادب العربي كثيرا من شعراء الحكمة البارزين كابى الطيب المتنبي وابى تمام وغيرهم وقد قال احد النقاد فى ذلـــك :
أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحترى ولوكان حظ شاعرنا من الشهرة كبيـرا لاعتبر أحد المبرزين فيها فهو بحق شاعر الحكمة ورافع لوائها فى هذه الحقبة التـي أقفرت فيها سماء الشعر العربـي .
وشاعرنا قريب الشبه جدا بفحل شعراء العربيه أبى الطيب المتنبي من حيث حياتـه أولا ومعاكسة الايام له ومن حيث طابع حكمته ثانيا واستقائها من تجاربه الشخصيـة وعلوقها بالذهـن .
وفى الامكان ان نعزو هذه الحكمة الى ثقافته الواسعة واطلاعه على شعر فحول الشعراء المتقدمين له ، ولكن المعين الاكبر كان فى تجاربه الشخصيه يستقيها مما مربه ورآه فـي عصر مضطرب يموج بالفتن ويمتلئ بالخلافات. وفى حكم ابن المقرب نلاحظ أول ما نلاحظ ، الجدة والحيوية مما جعلها عالقة بالذهن ، مؤثرة فى النفوس وهى تأتى عادة فى مطالع قصائده وفى أثنائها متلاحمة مع اجزاء القصيده كأنها من صميم الموضوع: فاذا أضفـت الى ذلك الهزة الشعورية التى تخفق فى حكمه عرفت لماذا بقيت حية فى الاذهان فهـي ممزوجة بمشاعر النفس الانسانية بعيدة عن الجفاف الـذى نلمسه فى الحكم عـادة.
وحكم ابن المقرب صورة عن نفسه وظروف حياته ومثله فى الحياة واوضح ما فيها تشاؤمـه من الحياة الذى يمكن رده الى خيبة أمله ومعاكسة الظروف له حتى كان من قولـه :

من سالم الناس لم تسلم مقاتلـه	منهم ومن عاث فيهم بالاذى سلمـا
لا يقبل الضيم الاعاجز ضـــرع	اذا رأى الشَريَفْلى قدره وجمـا
وذ والنباهة لا يـرضى بمنقصـه	لولم يجد غير اطراف القنا عصمـا
وذ والدناءة لو مزقـت جلدتـه	بشفرة الضيم لم يحسس لها ألمـا
ومن رأى الضيم عارا لم تمربـه	شرارة فيه الا خالها أطمـا (٢)

---

(١) ديوان الشاعر تحقيق الخلو ص٢٥٦ من قصيدة تبلغ مائة وخمسين بيتا قالها يفتخر بآبائه وأهله ويذكر طرفا من أيامهم وفضائلهم ومطلعها :

قم فاشدد العيس للترحال معتزما	وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

(٢) الاطم : الحصـن .

وكل مجد اذا لم يبن محتده بالبأس نقّرة الأعداء فانهدما

لا يضبط الأمر من في عوده خور ليس البغات يساوي اجدلا قطما (١)

ومن خلال هذه الأبيات نجد أن ابن المقرب يحكي تجاربه مع الناس والحياة فهو كما أوضح في البيت الاول لا يؤمن بسياسة اللين والمسالمة، وانما يؤمن بسياسة القوة والثورة والعنف ومبادرة الآخرين بالاذى والظلم، لان ذلك هو الطريق للعيش في هذه الحياة، وكل مجد عنده لا يقوم على قوة البأس واليد سيكون سهل الانهيار وسريعه.

كما أنه يرى أن الصبر على الهوان والسكوت عليه جبنا يزرى بصاحبه وأنه من شيم العاجزين الضعفاء، أما الاقوياء فلا يرضون بذلك لانفسهم حتى ولو حملهم هذا الاباء على امتشاق الصوارم والقنا.

وبدون شك ولا ريب ان علاقة شاعرنا بابناء عمه العيونيين يشكل جانبا كبيرا من هذه التجربة، ولكن حيث ان هذه التجربة مع ابناء عمه فهو لم يستفيد منها ليحقق غاياته، لأنه رضي بصلة الرحم والقرابة بدلا من قطعها والخروج على اسرته وشق عصا الطاعة عليهم، وهذا بلاشك خلق عظيم يشكر عليه الشاعر ويكفيه ذلك فخرا أكثر من فخر الحكم الذى صفح عنه لقوله:

ولا يعز الفتى الا باسرته لو كان في الباس عمرا والندى هرما (٢)

وانظر اليه يقول مخاطبا قومه ان الناصح لهم قد يحسبونه خائنا لهم وعلى العكس:-

فكم ناصح قد عد في الناس خائنا وكم غادر قد عد في الناس وافيا

وكذلك ايضا يشير الى أن الحاكم الحازم هو من لا يأخذ بمشورة النساء أوزعانف الناس ومحدودى النظر:

واخسر الناس سعيا رب مملكة أطاع في أمره النسوان والخدما (٣)

وكذلك يشير في بعض حكمه الى أن من أشد الذل والجبن أن يسلم الانسان لخصمه سلاحه ويكل الى عدوه تدبير امره حيث يقول:

---

(١) الخور: الضعف، البغات: ضعاف الطير، الاجدل: الصقر، القطم: مشتهي اللحم.

(٣)، (٤) من نفس القصيدة الاولى الميمية، ويقصد بعمرو عمرو بن معدى يكرب الزبيدى، ويقصد بهرم: ابن سنان.

ومن يعط خصما درعه وحسامه　　　وشابقه فليلبس الذل مشملا

ومن قلد الاعداء تدبير امره　　　فذاك الذى يدعى العديم المشكلا (١)

وانظر اليه يقول :

أرى الناس مذ كانوا عبيدا لغاشم
وخصما لمغلوب وجندا لغالب (٢)

وكذلك يقول :

لا خير في منزل يشقى الكرام به　　　ويلحق السيد المتبوع بالتبع

كم لمت قومي لا بل كم أمرتهم　　　بحسم داء العدا فيهم فلم أُطَع (٣)

وقوله :

ومن لم يلج بالنفس في كل مبهم　　　يعيش عرضا للذل لعيش البهائم (٤)

ومن لم يقدها ضامرات الى المدى　　　تقد نحوه عوج البرى والشكائم (٥)

وقال من قصيدة له يعاتب فيها الامير فضل بن محمد ويوجه فيها اللوم عليه لا جل جفائه ، وقطيعته لرحمه .

اذا خانك الادنى الذى أنت حزبه　　　فلاعجبا ان اسلمتك الأباعد (٦)

فلقد لاحظنا في أبيات الشاعر أن هذا التشاؤم الذى مني به يدفعه الى التجلد والقوة والثبات أمام صروف الدهر ، ولم يدفعه الى الضعف والزهد والعزلة كما فعل بابن الرومي وغيره .

ومهما كان شاعرنا مسبوقا الى بعض المعاني الا أنه يكفيه فخرا هذا المجهود الفني تجاه حبكها واحكام صوغها ، واظهارها في هذا المعرض الذى استهوى الافئدة وخفق بالقلوب . وهذا المجهود بلاشك يستحق عليه الثناء فجزاه الله عن الشعر العربي خير الجزاء .

---

(١) ديوان الشاعر ص ٣٦٩ .　　　(٢) المرجع السابق ص ٦٦

(٣) ديوان الشاعر ص ٢٧٨　　　(٤) المرجع السابق ص ٥١٣

(٥) البره كل حلقة تجعل في أنف الناقة والفرس والشكيمه حديده اللجام المعترضة في فم الفرس

(٦) انظر ديوان الشاعر ص ١٤٠ .

غـرض الهجـاء :

ساهم ابن مقرب العيوني في هذا الغرض من الشعر ، وهو ليس بغريب في عالم الشعراء حتى المعتدلين منهم فقد طرقوا الهجاء ، ولكنهم يختلفون من حيث صيغة الهجاء فمنهم من يهجوا ولكن في حدود اللياقة المعقولة ، ومنهم من يسفون في الهجاء ايما اسفاف ولا يتحرجون في ذكر ابشع الالفاظ ولعل شاعرنا ينطبق عليه الوصف الأخير ، ولكنه مع ذلك قليل الهجاء جدا ، اذ لم يهج في حياته سوى شخصين هم (ابن الدبيثي) عامل واسط — وهو عميد الدين ابوالعباس أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد — عرف بخصال سيئة نفرت منها نفس ابن المقرب. وابن المقرب في هجائه لابن الدبيثي قد اسف ايما اسفاف فلم يتورع من ايراد بعض العبارات المخجلة والالفاظ النابية ، مما يجعل الشخص في حيرة من ذكرها لولا ايراد الحقيقة الادبية المحضة فقال يهجو ابن الدبيثي بقوله : (١)

بُع واسطا بالنأى والهجـر	ودع المرور بها الى الحشـر
ارض يدبّرها ابن صابئـة	شابت مغارقها على الكفـر
قلفـاء من نبّط البطائح لـم	تمرر لها الموسى على بـظـر
تلقى الأيور بمقتبلٍ خشـن	متمثكل يوفى على الشـبر
قد سَدّوا سِعَ قُبْلها عظـم	فجميع ماولدت من الديـر
يابن الدبيثي اللعين لقـد	رمت المحال فغُصت في بحـر

فهجاء هذا بحق أحط هجاء يمكن الوصول اليه ، فهو يبعث على البشاعة والتقزز ، والقلم كما قلت في حيرة من ذكره لولا مناشدة الحقيقة الأدبية.

كما انـه بالاضافة الى وصف امه بهذه الاوصاف فقد سخر منه اشد السخرية حيث قال في القصيدة نفسها .

لك لحية كالتيس مابرحـت	من بوله في ناطف تجـرى
وبها اذا ساضت خليلتك السـر	عناء تعرف أول الطهـر
ولسوف يحلقها أخو كـرم	زاكي الأرومة طيب البحـر
وهي التي غرتك فابغِ لهـا	بيتا يحصنها من الظهـر

---

(١) ديوان الشاعر ص ٢٢٤ .

واجمع حواليها ليمنعها … ما استطعت من مستحكم الجمر
فلقد أتاها ماسيتركها … مرداء خالية من الشعر
فلعل ذلك فيه مصلحة … لك يا لئيم ونحن لا ندري

()=()=()

وقال فيه قصيدته الثانية التي مطلعها (١) :

قالوا الدُّبَيثي ذو قوافٍ … محكمة النظم مستقيمة
فقلت بعداً لكم وسحقا … أكلا فها مكم سقيمة
شعر الدبيثي لو عقلتم … ابرد من امه اللئيمة
هو الذي تعلمون كلب … فهل لنبح الكلاب قيمة

()=()=()

وقصيدته الثالثة من قصائد الهجاء لا تتجاوز البيتين قالها في حاكم الموصل وهو بدر الدين لوءلوء ، علما أن شاعرنا قد قطع أشواطا في اطرائه ، وتعداد امجاده ، وافضاله ، بل وطلب منه العون والرفد صراحة في بعض أبياته مع ما هو معروف عن الشاعر من شيمة النفس والترفع عن طلب أي رفد ، وذلك غريب من الشاعر جدا ومما يوءخذ عليه ، ولكن ورد في ديوانه أنه قد طلب منه ذلك اما على سبيل المداعبة أو غيرها ، أما القصيدة فهي قوله :

تسلط بالحدباء عبد بلوءمه … بصير بلى عن نيل مكرمة عمِ
اذا أيقضته لفظة عربية … الى المجد قالت أرمنيته نَمِ (٢)

وعلى أي حال فاشعار ابن المقرب في غرض الهجاء قليلة جدا بالنسبة لديوانه ، اذ لم تتعدى ثلاث قصائد فقط هي ما اوردناها ، اثنتان في ابن الدبيثي وواحدة في بدر الدين حاكم الموصل.

=•=•=•=

---

(١) ديوان الشاعر ص٥٠٠ وهي تبلغ واحد واربعين بيتا.

(٢) ديوان الشاعر ص ٥٠٥ .

— — — — —

الشـوق والحنـين :

الشـوق والحنـين الى الأهل والرفاق والأوطان والمنازل ومرابع الصبا وأيام اللهو والشباب من الأغراض التي شاعت في شعر شاعرنا ابن المقرب وخاصة في القصائد التي نظمها وهو بعيد عن دياره في ديار الغربة.

والقارئ لديوانه يجد أن هذا اللون من الشعر تفيض به نفس الشاعر وتطبعه بطابعها فيحس فيه مرارة الالم وحرارة الاشتياق ، وقد طاوعه في ذلك ابداعه في التعبير عما يجيش بنفسه من خواطر وخلجات فانظر اليه وقد سمع هديل حمامة ، وهو يعبر نهر دجلة ، فاهاج صوتها في فؤاده لواعج الشوق والفراق الى الاحبة والاهل والأوطان فقال[1] :

صبا شوقا فحنَّ الى الديار	ونازعه الهوى ثوب الوقار
وهاج لهالفراغ غنـاء ورق	هواتف في غصون من نضار
صَدَحْنَ غُدَيَّةً فتركْن قلبي	وكان الطود كالشيء الضمار
رويدا ياحمام بمستهام	مَشُوقٍ مَنَّه طول السِّفار
براه الشوق بَرْيَ القدح جدا	فغادره بقلب مستطار
فواعجباً لكُنّ تنحنَ خوف الفراق وما بدت خيلُ المغار	
ولم تُصْدَع لكُنّ عصا ببَيْن	ولم تعبث لكن نوًى بحار
وانتن النواعم بين بان	وخَيْرِيٍّ يرفُّ وجلنار

ومنهـا :

فكيف بِكُنَّ لو نيطتْ شجوني	بِكُنَّ ونار وجدى وادكاري

نجده يصور لوعته وحنينه الى دياره اروع تصوير ، ونحس من ثنايا شعره بحاله واشتياقه البالغ الى دياره وأهله وأحبته.

ومن حنينه أيضا الى دياره — الجرعاء — بالبحرين وهو بالعراق

---

(1) ديوان الشاعر ص ٢١٤ .

متذكراً سمره بها مع أحبته وذويه حيث قال : (١)

يامنزل الحي بالجرعاء لا برحت — تهمي بك المزن تُهطلا عزاليها
كم لي بمغناك من يوم نعمت بـه — وليلة تعدل الدنيا ومافيها
واهاً لها من ليال لوتعود كما — كانت وأيُّ ليالٍ عاد ماضيها ؟
لم أنسها مُذ نأَت عني ببهجتها — وأين غرٌ من الايام تنسيها

ومن قوله متشوقا الى بلده وقومه وأيام شبابه قوله : (٢)

ياحبذا وادى الحساء فانه — لوساءني وادٍ اليَّ محبب
ياحبذا درب السليم وحبذا — ذاك القطين به وذاك الملعب
وعصابة فارقتهم لا عن قلى — مني ولا لي غير والدهم أب
وكريمة الطرفين ذروة وائل — آباؤها وجدودها اذ تنسب
شاطرتها شرخ الشباب وماؤه — يجرى وجذوة نارة تتلهب

وغرض الشوق والحنيين لدى شاعرنا نجده في ثنايا قصائده فلم يفرد له غرضاً مستقلا ، ولكنه يفرد له أبياتا وذلك أحيانا كقصيدته الاولى عند عبوره نهر دجلة مع سماع صوت الحمام الذى أهاج شاعريته وحرك اوتار قريحته .

=()=()=()=

---

(١) الديوان ص ١٥٦
(٢) الديوان ص ٨٥ .

الغــزل والنسيب:

لعل انشغال شاعرنا ابن المقرب بشئون الحياة، وصراعه مع الأيام قد أخذ عليه جل تفكيره، فلذلك لم تحتل المرأة في ديوانه إلا حيزا بسيطا جدا، فغزلـه قليل نادر، وهو يأتي في مستهل ومطالع قصائده على عادة معظم متقدمي الشعراء ومنه يخلص الى الغرض الاساسي.

ولعل همته العليا ومطلبه السامي جعله يترفع بنفسه عن النظر الى المرأة كما فعل أبو الطيب المتنبي، فلم تستهوه المرأة فؤاده، ولم تحتل منه الا قليلا ولا كثيرا. وافتقاد ديوان الشاعر لهذا الغرض الجميل والعنصر الغنائي المحبب الى النفوس ـ بلاشك ـ يجعل منه طريقا طويله خالية من محطات الترويح والترفيه عن النفس.

ولقد ساهم شاعرنا في مطلع احدى قصائده بقوله:(١)

وبيضاء مثل البدر حسنا وشارة ... يزين بها السب المزبرق والاتب (٢)

اذا ما نساء الحي رحن فانها ... لها النظرة الاولى عليهن والعقب (٣)

تحير فيها رائق الحسن فاغتدت ... وليس لها فيهن شكل ولا ترب

بدت سافرا من درب دينار والصبا ... يرنحها والدل والتيه والعجب (٤)

رأتني فابدت عن أسيلٍ وحَجَّبَتْ ... بذى معصم جَدْل يَغَصُّ به القلب

وقالت: غريب والفتاة غريبة ... ولا في نكاح الحل ذام ولا ذنب (٥)

فقلت لها: انى الوف ولي هوى ... ومالي في بغداد شعب ولا سرب (٦)

فقالت: واين السرب والشعب والهوى؟

فقلت: بحيث الكر والطعن والضرب

فقالت: أرى البحرين دارك والهوى ... أخاك وهذا ما أرى فمن الشعب

ويستمر ابن المقرب في هذه المحادثة ليخلص فيها الى تعداد أوصاف قومـه وفخرهم ثم تهتدى مخاطبته اليهم في النهاية حيث قال:

فقالت: لعمرى انها لربيعة ... بناة المعالي لا كلاب ولا كلب

---

(١) انظر الديوان ص٢٧. (٢) السب المزبرق: الخمار والعمامة المصفرة، والاتب: برد وثوب يؤخذ فيشق في وسطه ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب.
(٣) العقب: النظرة بعد النظرة (٤) درب دينار: درب معروف في بغداد، وجاء في بعض النسخ من ضرب دينار (٥) ذام: اى عيب: (
(٦) الشعب: القبيلة، السرب: المكان والمنزل.

الوصـــف:

الوصف غرض من اغراض الشعر العربي ومقصد من مقاصد الشعراء الا انه قلما تفرد له قصائد بذاتها عند متقدى شعراء العربية خاصة ولذلك ورد عرضا في ثنايا قصائدهم ، وحظ شاعرنا ابن المقرب من هذا الغرض بسيط جدا وقلّما نظفر بوصف متكامل لموضوع ما في شعره . فكل ماهنالك ابيات قليلة وردت ضمن قصائد معدودة من شعره .

وحيث ان الوصف يعتمد اعتمادا كليا على بعد الخيال ودقة التصور وهذين السببين مما لم يتوافرا في شاعرنا نظرا لانشغاله بشئون حياته المضطربة ، فلم يهدأ له بال ليحدث نفسه في وصف شيء من الاشياء ، اذ أن الوصف عادة يأتي مع هناء العيش وارتياح الضمير في الحياة والتقلب بين قصور الخلفاء ونعيمهم بعكس ماكان عليه شاعرنا في حياته . وكل مانظفر به من شعره في الوصف كان نزرا يسيرا نعثر عليه في بعض قصائده التي قالها في غرض آخر ، ومن ناحية أخرى لم يكن الوصف عند ابن المقرب في عمومه جيد الحبك محكم التصوير .

وفيمايلي نسوق له نموذجا وهو وصف المطر من قصيدة يمدح فيها الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، جاء في أولها مخاطبته لمرصات الدار ، داعيا لها بالسقيا ، فكان في ذلك منا سبه لان يصف المزن ، وهطول الوبل ـ والحق أنه جاء بارعاً أحسن الابداع حيث قال :

سقاكِ من نوء السماكين عارض ... من المزن ، محلول النطاقين دالح (٢)
ملث يظل الجأب في عنفوانه ... على النشز وهو السّحسح المتمايح (٣)

---

(١) انظر الديوان ص١٢١ .

(٢) محلول النطاقين : كناية عن تدفق الماء ، دالح : كثير الماء ، والسماكين : نجمان في السماء ، وهن نوئين من انواء الوسم وهو نزول المطر .

(٣) الملث من المطر : الدائم ، الجأب : الحمار الغليظ ، وعنفوانه : تهاطله بشدة ، النشز : المكان المرتفع ، السحسح : الشديد من المطر ، التمايح : التمايل .

كمسترعف احذى ودنح بعدمـــا غدا طلقا واستبدهته المطـاوح[1]

وتمسي الرعان القود فيمه كأنهـا يعاليل في آذى بحر طوافـح[2]

الا أن هذه الأبيات تكتنفها بعض الكلمات الغريبة التي تحتاج الى رجوع الى القاموس.

ومن وصف ابن المقرب للخمرة في احدى قصائده التي مدح بها امير البصرة شمس الدين باتكين ، قال : (٣)

قم فأسقنيها قبل صوت الحمـام كرمية تجمع شمل الكـرام

صهباء مما عَتَّقت بابـل مزاجها الآرِيّ وماء الغَمام[4]

ما أُديْر الكأس منها علـى كِسرى ونمرود بن كوش بن حـام[5]

لو اُحتساها ابن الزبير اغتْدى أكرم من كعب واوس بن لام

تذهب باليأس وتُدني المنى وتنشر اللّهو وتطْوي الغرام

أَوذاقها المنزوف ضرطاً لمـا هاب ابن ذى الجدَين يوم الزحام[6]



وعلى العموم فغرض الوصف لدى ابن المقرب ضحل جدا ولم يطرقه كما طرقه بعض الشعراء الذين اشتهروا به كشعراء الاندلس وابو الطيب في وصف المعارك والبحترى في بعض أوصافه .

---

(١) المسترعف من الخيل : السابق منها ، واحذى التراب : حثاه ، واستبدهته فاجأته المقاذف وهي المهالك .

(٢) الرعن : خشم يتقدم الجبل : وهو ايضا موضع بالبحرين واليعلول : الحباب وتفاخات الماء ، آذى البحر : موجه .

(٣) الديوان ص ٥٧١ . (٤) الارى : العسل .

(٥) نمرود : هو صاحب القصة مع ابراهيم عليه السلام .

(٦) المنزوف ضرطا : رجل مشهور بالجبن ، وابن ذى الجدين هو قيس بن مسعود بن خالد رجل شجاع .

المداعبة والمزاح :

لقد كان شاعرنا ابن المقرب خفيف الظل والروح كثير المداعبات مع أصحابه وأصدقائه الذين تجمعهم به مجالس الأنس والطرب، وخاصة في أيام شبابه الأولى التي قضاها مع اصدقائه في أرض اليمامة . فقد روى عنه انه كان جالسا مع جماعة من اصحابه ، وفيهم رجل يشتكي وجعا في رأسه ، وحمى مطبقة عليه ، فطلبوا منه رفاقه أن يكتب لذلك الرجل بعض التعاويذ ليعلقها على نفسه ويتبارك بها — وهي مشهورة في الزمن الأول — لعل الله ان يشفيه ببركات مافيها من الاسماء ، والآيات، وذلك الرجل ايضا ممايعرف بالدعابة والمزاح ، وخفة الروح فعلم ابن المقرب بمقصود أصدقائه فقال : ائتوني بدواة وبياض فأتوه بهما ، فأخذ ذلك عنهم ناحية ، وكتب هذه الابيات، وطواها طي التعاويذ ، وشد عليها سلكا ودفعها اليه ، وأمره ان يشدها في عضده ، فلما قبضها واخذ يشدها على عضده ، قال بعض الاصدقاء ، لابد أن نعرف مافي هذه التعويذة لتحفظه وينتفع به الناس، وكلهم يظنون ان المكتوب ليس شعرا ، فحلوا السلك ونشروا الرقعة ، فاذا هذه الابيات مكتوبة فيها (١) :

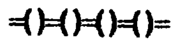
يامالك الخير عليك السلام	أتاك شيخ من أضل الأنام
فاجج النار ، وافتح له	أبوابها وانعم له بالقيام
واجمله بالتابوت من خلفه	ابليس يمشي حافيا في فئام
وقل له يختار في جوفه	بيتا وزينة بغسين ولام
وزفه ترقص من حوله	عقارب كالبخت أو كالنعام
وقل لاهل النار حفوا به	فهو لمن سن المعاصي امام
حتى اذا اكمل في قعرها	من المدى يامالكا ألف عام
فأمر به يخرج لو مكرها	منها الى الخلد ودار السلام

فمن هذه الأبيات تتضح شخصية ابن المقرب في مداعبته لأصدقائه ، وانه خفيف الظل والروح.

---

(١) ديوان الشاعر ص٥٧٧ .

هذه هي الاغراض الشعرية التي استطعنا ان نجدها في ديوان الشاعر، وقد ضربنا عليها الأمثلة بشيء من شعره ، ومن خلال قرائتي للديوان والنماذج التي اخترتها منه يمكن أن نخرج برأى مجمل في هذا الشعر ،وهو اننا لانجد حرجا اذا ماوصفنا شعر ابن المقرب بقوة الشاعرية وأصالة البيان ، وبفخامة الاسلوب وجزالة التعبير ، ولا اذا ما وصفنا ابن مقرب نفسه بأن ثروته اللغوية واسعة سعة لم تتهيء لكثير ممن سبقه من الشعراء ،وبأنه واسع الافق في الثقافة الاسلامية ،بالاضافة الى احاطته بجوانب جمة من التاريخ ، ولا سيما فيما يتعلق منه بشرقي الجزيرة العربية ،وسواحل الخليج العربي فقد جاء شعره سجلا لتاريخ البحرين والدولة العيونية بالذات.



الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في شعره

الحرمان الذى مني به في حياته :

عرفنا فيما تقدم من الحديث الشيء الكثير عن حياة شاعرنا ابن المقرب، وما مني به من جفاء أبناء عمه، ومن تكالب الوشاة والحاسدين ضده ووقوفهم في وجهه دون تحقيق مطامحه وآماله وافق ذلك رغبة من ابناء عمه فاصبحت حياته جحيماً لا يطاق، وضاقت به الارض بما رحبت مما كان سببا في دفعه الى كثرة الرحلات لعله يجد متنفسا يفيض فيه آلامه وآماله، والحرمان الذى مني به ابن المقرب هو الذى دفعه الى ارسال هذه الانات والشكايات من زمانه وأهله.

فهذه الناحية البارزة لا يستطيع أى باحث في حياة أبن مقرب وشعره أن يغفلها أو يتناساها بأى حال من الاحوال، تلك هى اثر حياة المنع والحرمان في تكييف شاعريته، وهذا الاثر في الحقيقه اثر عميق المدى، بعيد الغور، واضح المعالم بين السمات فالقارئ لشعر ابن المقرب لا يكاد يقرأ قصيدة واحدة من قصائده في أى غرض من اغراض شعره دون أن يشم منها رائحة الحرمان، وارزاء الدهر التى تتصاعد من بين حروفها وخلال كلماتها، والحرمان دائما يعتبر من اهم اسباب تدفق الشاعريه، ولعل له الفضل الاول في قدح زناد شاعريه قيس بن الملوح، وابو فراس الحمداني من فحول الشعراء الاوائل، وكذلك شاعرنا على بن المقرب العيوني، فهو بحق يعتبر أهم عامل يلهب المشاعر ويغذى العواطف، وينطق الألسنه بلغة الحياة الصريحه، ولقد نال شاعرنا من الحرمان في حياته ما ناله، فاكتوى من حر لظاه وعاني من قسوته وويلاته فاستمع اليه يقول في مطلع أحدى قصائده يصف صراعه مع الحرمان :

كم أرجع الزفرات في أحشائي	والى م في دار الهوان ثوائي[1]
لم يبق مني في مساورة الأذى	والضيم غير حشاشة وذماء
في دار قوم لو رآهم مالك	وهم بأحسن منظر ورواء .

---

(١) ديوان الشاعر ص ١٣ .

لرثى لاهل النار كيف يراهم ... وهم لهم فيها من القرناء
ثكلتهم الاعداء ان حياتهم ... غم الصديق وفرحة الاعداء
أموالهم لذوى العداوة نهبة ... وعن المكارم في يد الجوزاء

ويمضي في القصيدة على هذا النمط والسياق حتى تبلغ به الحسرة مبلغها فيلفظها صرخات مدوية، وأنات موجعة، نادبه مستنجدة حيث يقول :

ياللرجال الا فتى ذو نجده ... يحمي بمنصله على العلياء
تالله اقسم لو دعوت بندبتي ... حيا للبى دعوتي وندائي
لكني ناديت موتي لم تزل ... اشباحهم تمشي مع الاحياء
ألفوا الهوان فلوتناثي عنهم ... لسعوا لبغيته الى صنعاء (١)

هذا اللون من الحرمان يعتبر عاماً شعر به ابن المقرب نحو بلده وهو تقلص ظل العصا مبين من البلد ، الذين لا يصبرون على الاذى ولا يخضعون للاعداء، وكم هي نعمة كبرى لوتوفر العصاميون الذين يقدرون المسئولية والواجب فيعطوا الحياة حقها .

وفي سبيل المصلحة العامة أرجع شاعرنا الزفرات تتلو بعضها ، فثار عليه ابناء عمه ثورة صورها الشاعر صور شتى ، وعلها في نفسه بعدة اعتبارات، الامر الذى زاد من شجونه وعجل برحيله عن أرض الوطن ليبقى بعيدا عن مراجل الكاشحين وهي تغلى ، وقلوب الحاسدين وهي تغور ، فكان تضاعف حرمان الشاعر واضحاً اكثر تعسا ونكدا عن ذى قبل ، وحقا ان لديه المبرر للرحيل عن هجر البركانيه : فاستمع اليه يقول :

ياصاح : قد ازف الرحيل فقربا ... للسير كل شملة وجناء
ماعذر حر في المقام ببلدة ... آسادها ضرب من المعزاء
لا بالرجال ولا الجواميس اقتدوا ... —عد موالحياة — ولا بطير الماء
فالبرا وسع والمناهل جمة ... والبعد مقترب على الانضاء
وبجانب الزوراء لى مستوطن ... — ان شئت — او بالموصل الحدباء
في حيث لا القى الحسود مكاشحا ... تغلى مراجله على الخلطاء
وبحيث اخوان الصفاء يضمها ... حسن الوفاء وشيمة الادباء

()=()=()

---

(١) من نفس القصيدة الاولى ص١٦ .

ونراه يفصح اكثر في قصيدته الاخرى حينما يشرح مكانته من قومه وسبب رحلته في الحقيقة حيث يقول :

وان انفرادى عنهم وتغربي ... ترامى بي الامواج والحزن والسهب
لغير اختيار كان مني ولا قلى ... وانهم للعين والانف والقلب
ولكنها الايام تبعد تارة ... وتدني ولا بعد يدوم ولا قرب
واني حفيٌ عنهم وسائل ... بهم حيث يثوى السفر وينزل الركب

ويقول منها :

ولي فيهم سيف متى ما انتضيته ... على الدهر اضحى وهو من خيفه كلب
على ان حد السيف قد ربما نبا ... وفلّ وهذا الا يفلّ ولا ينب (١)

هكذا يتصارع الحرمان في نفسه مع العاطفة، فيسلم أخيرا الشاعر المفقود الى ابن عمه، سليل الدوحة العيونية، حبا في لمّ الشمل ووأد الأحسن ، فلقد فضل ان يعيش بحرمانه وجحيمه على أن ينازع الارحام ، ويخاصم العشيرة، وأنه لاعتراف ووفاء ليس بعده وفاء لحق القرابة .

فلقد ذاق من ظلم قرابته ومعاكستهم له، فاكتفى في مناهضته لهم بالعتب الرقيق، والنصح الهادى، وعندما رأى ان لا فائدة ترجى ، هجر مسقط رأسه، وربع صباه ضاربا في أرض الله . وهكذا فضل ترابط الاسرة والتئامها على اراقة الدماء فيما بينها امام المطامح الفردية، فكان موقفه هذا مثلا رائعا لتلاحم الوحدة العائلية والمحافظة عليها .

أما عن حرمانه في عالم الصداقة، فقد مني شاعرنا بفئة من ذوى النفوس الصغيرة، والصداقات الرخيصة، فحملته طيبة قلبه على الاخلاص لهم، واصفاء المودة لهم ... ولم يعرف انه في يوم من الايام ستكشف الحياة له هؤلاء، صغار في عقولهم وافكارهم لا يعرفون من الصداقة الا انها جسرا لمطامعهم الخاصة، واشباع لرغباتهم في الحياة ، ولكن سرعان ماظهروا على حقيقتهم وانقشع ذلك الستار المستعار الذى حاولوا ان يلبسوه هذه الصداقة، فاستمع اليه وقد خصهم بقوله :

ولقد حلبت الدهر اشطر بابه ... وعرفت ما يبدى وما يتغيب
فاذا مودة كل من أصفيته ... ودّى لدى الحاجات برق خلب (٢)

---

(١) ديوان الشاعر ص ٣١

(٢) ديوان الشاعر ص ٨٦ .

وفيما اعتقد أن هذا اللون من الحرمان الذى مني به شاعرنا ليس بالامر الهين ، ولكنه يولد في الحقيقة الكثير من الخواطر والأحاسيس التي تأخذ جلّ وقت المحروم ، وتحمله أيضا الى سوء الظن بالناس عامة وكذا بالزمان أيضا ، كما لمسنا ذلك واضحا لدى شاعرنا .

وكما هو معروف لدينا سابقا ان ابن مقرب من اسرة عريقة الحسب والمجد والسيادة . كما وقد كان لها الفضل الاكبر في تحرير البحرين من نير القرامطة ، وقد توالى على اريكة الحكم عدد غير قليل من افراد هذه الاسرة ، وكان من الممكن أن تنتظم هذه القائمة اسم الامير على بن المقرب ، فيصبح اميرا للبحرين ، ولكن الحظ رمى به بعيدا عن ذلك فتخطته الامارة الى غيره من ابناء عمه ، هؤلاء الذين أوجسوا منه خيفة المطالبه بشيء من الحق في الامارة ، كما زاد الطين بلة والامر تعقيدا ان افسح هؤلاء صدورهم لقيل الوشاة والحاسدين .

وهذا اللون من الحرمان ، اتصل بحياة الشاعر اتصالا وثيقا ، أخذ عليه تفكيره اعواما عديدة ، وهذا بالذات هو ما تهمنا دراسته اكثر في هذا الفصل ، ذلك ان أثره أعمق وأشد من غيره في تكييف شاعريته ، فاستمع اليه يقول عن قرابته :

أطاعت مقالات الاعادى وغرها ... تملقها في لفظها واختلابها
فانحت على ارحامها بشفارها ... واوهن عظم الاقربين اصطلابها (١)

=•=•=•=

فللأسف الشديد ان ابناء عمه عملوا على محاربته ومطاردته فكانت أولى خطواتهم ان صادروا أمواله واملاكه ثم اودعوه اخيرا السجن فلم يجد امامه مندوحة الا ان يضرب في مناكب الأرض وان يترك بلده هجر ساخطا وهو يقول :

لحى الله دهرا ألجأتني صروفه ... الى حيث يلغى حق مثلي ويهمل
وعاقب قومي الغر شر عقوبة ... وخصص مَنْ ينمي عَليّ وعَبْدل
فلولا هم والله يعلم ذلكم ... لما فاه لي في الناس بالمدح مقول
ولا حط بالفيحاء رحلي ولا رأت ... قريظا هر الزّوزاء شَخْصي وأرْبل
وقد كان لي من ارث جدي ووالدي ... غِنًى فيه للراجي النّدى متأمل (٢)

---

(١) الديوان ص٥٤ .

(٢) الديوان ص٤٢٨ .

ولقد وصلت به الحال في الغربة فسئل عن سبب عدمه وضياع ماله بينما انه من سلالة امراء لهم طابعهم الخاص في ذلك الوقت من الثراء والبذخ ورفاه العيش فعز عليه قول الحقيقة، خشية أن تلحق السمعة السيئة ببني عمه، ولكنه اضطر امام الالحاح أن يقولها وماعليه في ذنب :

وجاءت القوم افواجا لتسألـــني	فصادفوا منطقي للفضل عنوانـــا
فان أجمجم واخفي عنهم خـــبرى	حمية، جلبت هونًا ونقصانـــا
وان اقل كنت ذا مال فمزقـــه	صرف من الدهر ماينفك بلجـــانا
يقال لي كل تفريق له سبـــب	يجرى فاورد علينا الامر والشانـــا
فان اقل: سيدا قومي هما سبب	لذلك لم ارهذا القول احسانـــا
هذا – لعمرى – اطاع الكاشحين ولم	يعطف واضغى الى الواشين اذعانا
ومن بعد ذهاب المال عن عرض	يُقَتِّرُ النفس كي ندعوه منانـــا
وجئت هذا ارجي عنده امـــلا	نزرا فصادف اعراضا وحرمانـــا
وفي مودته لاقيت كل اذى	واجتيح وَفْرِي بِعُضَالِيُّ وشنآنـــا
وكل ذى غصة بالماء يدفعهـــا	فكيف يصنع من بالماء غصانـــا
وماعلى من يقول الصدق من حرج	وليس تلزمه ذنبا ولا ذاتهـــا (١)

ابن المقرب في الحقيقة قد عاش حرمانا في المال وعلاقات الود والاصدقاء وفي حياة الاستقرار حرمانا احاطه به من شتى جوانب حياته، فقلب الدنيا في وجهه سوادا بدل ماكانت ترى عيناه الدنيا بمنظار الفأل والابتسام، فلقد اصبحت حياته جحيمـــا لا يطاق، فانظر اليه وهو يردد في شعره سقوط اعتباره الاجتماعي، ولم يعد يرجـــى ولا يخشى حيث يقول :

طال لبثي بين مولى خـــاذل	ومعاد وصديق كالمعـــادى
تمضغ الايام لحمى عبثـــا	ليس بعد المضغ غـــير الازدراد
لا حياتي تمتع الجـــار ولا	نائلي يرجى ولا يخشى عنـــادى (٢)

++++++

وحيث ان الشعر مرآة تظهر على صفحتها مايشعر به الانسان ومايجول في مخيلته

---

(١) الديوان ص٦٠٦

(٢) الديوان ص١٧٩

مرهواجس وخلجات ، فان أحاسيس شاعرنا ابن المقرب انعكست على صفحة شعره صوراً عنه صادقة.

وقد ألهمت هذه الاحداث شاعرنا الحكمة ، كما ألهمته غيرها ، فجرت على اسلات لسانه ، وامتزجت مع سلسبيل قصيده ، وكثيرا ماكان يجمع الحكمتين في بيت واحد .

والحق ان الحكمة عند ماتكون وليدة المنبع الحرمان . . تأخذ طابعا انسانيا فريدا ، وتحمل الشيء الكثير من المعنى ، كما تكون اقرب شيء الى اللصوق في الاذهان . فخذ مثلا قولـــه :

ان المنية ــ فاعلم ــ عند ذي حسب ... ولا الدنية هان الامر او عظما

من سالم الناس لم تسلم مقاتلــه ... منهم ومن عاث فيهم بالاذى سلما

لا يقبل الضيم الا عاجز ضـــرع ... اذ ارأس الشر تغلي قدره وحما

وذو الدناءة لو مزقت جلد تـــه ... بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما

ومن رأى الضيم عار لم تمر بـــه ... شرارة منه الا خالها أطمـــا (١)

ان هذه الحكم التي نراها تأجج بين احرفها روائح الحرمان هي صدى لما يعتلج في نفس الشاعر من تعس وحرمان ، وألم وحسرة من صروف الدهر ومعاكسة الأيام .

ثم نرى شاعرنا وقد بلغ الحرمان منه مبلغه ، يعود فيتخذ من النصح والعتاب وسيلة لحل عقد الحرمان من نفسه ، فانظر اليه مخاطبا الامير علي بن ماجد يقوله :

اعطف على احياء قومك واحتمـــل ... ذنب المسيء وكاف بالاحســـان

واعمل لما يجني العشيرة واطـــرح ... قول الوشاة وكل شيء فـــان

واعلم بأن النسر يسقط ريشــــه ... حينا فيقعده عن الطـــيران

والصعو ينهضه وفور جناحـــه ... حتى يجوز مواكر الغربــــان (٢)

والدوحة القنواء اشين ماتـــرى ... معضودة وتزين بالاغصـــان (٣)

انه لقول صادق ، وحقيقة لا مراء فيها ، انه واقعة الذى يعاني فيه ولا شك ولو ان ابناء عمه الذين تواطئوا ضده كانوا عادلين مع انفسهم لما عانى من الحرمان ، ولما ذاق مـــن ويلات الكبت والاضطهاد ، ولذبلت نغمة الحرمان ، واختنقت في شعره ، وخسرت دولة الشعر ديوانا ضخما اهم سماته الفخر والاعتزاز بالنفس ، والحماسة والتأوه والحرمان ،

---

(١) الديوان ص ٥٢٧ .
(٢) الصعو : طائر أصغر من العصفور .
(٣) ديوان الشاعر ص ٦٤١

والحرمان هو ديوان ابن مقرب العيوني .

نعود لننظر صراعه مع الحياة ، بل صراع كل نفس تواقة الى المعالي فانظر اليه في مطلع احدى قصائده (١) :

أبَتْ نُوَبُ الأيام الا تعاديا	فيا شقوتي ماللياليَ وماليا
اذا قلت يوماً هان منها تعطّفٌ	رأيت رزاياها تسامَى كما هيا
فليت اخلائي الذين ادخرتهم	جلاً لهمي، لاعلى ولا ليا
واعجب مايأتي به الدهر انني	أرى القوم ترميني بايدي رجاليا

ثم نراه يصرف الحديث بعد هذه الابيات الى نفسه فيقول :ـ

علوا نني النَدْب الذي يُكتفى به	وبيتُ عُلاها بيتُ عمي وخاليا (٢)
ألا ليت شعري من يقوم لمجدها	مقامي ويرعى مالها كنت راعيا
لعمري لقد أرفدت جواداً وضعضعت	عماداً اذا ما الهول ألقى المراسيا

ويستمر على هذا النمط ،ثم يعود الى قصيدته ويسأل ابناء عمه :

الى م بني الأعمام نُسقَى نطافها	اجاجاً ويسقى الغير عذباً وصافيا (٣)
فوالله ما ادري وانى لصادق	عمّي ما أرعن قومنا ام تعاميا
هراقوا ذوي السم الزعاف واولجوا	بأيديهموا تحت الثياب الافاعيا

ويستمر في عتبه وتوجعه ،مرسلا اناته حكما ملوءها الرجولة والخلق الانسانية ،ثم يعود ثانية للفخر بنفسه والحديث عن فعاله . وهكذا تتوزع القصيد بين الفخر والحكمة. ولكن المحور الرئيس للكلام هو دائما مايعانية من ابناء عمه من قسوة ومجافات وتحد . واننا حينما نتتبع قصائده نجد الشيء الكثير من حديثه عن نفسه وعن همته وسمو مكانته وجميل سماته وكريم محتده ،وماهذا الحديث عن النفس الا رد فعل لما يعيشه من واقع مرير سيء وحرمان عارم مستطير . ولقد غص ديوانه من حديث النفس فاستمع اليه محدثا عن نفسه حيث يقول :

---

(١) ديوان الشاعر ص ٧٦٥ والقصيدة تبلغ ستين بيتا .

(٢) الندب : السريع في الحوائج .

(٣) النطاف : المياه القليلة .

أأرضى بما يرضى الدنو وصارمي	حسام وعزمي عزم ذي لبدة ورد
سأمضي على لأيا بعزم ابن حمرة	يُغَدّى بأبناء الرجال ولا يُفْدى
واني لبدر ريع بالنقص فاستوى	كمالا وبحرا يعقب الجزر بالمد
فآه لقومي يوم أصبح شاويا	على ماجد يُحيي مكارمهم بعدى
واني في قومي كعمرو بن عامر	ليالي يُقضى في قبائله الأزد (٢)
ستعلم هند انني خير قومها	واني الفتى المرجو للحل والعقد
وان ايادى القوم أبسطها يدى	وان زناد الحي اثقبها زندى

((() () () () ()))

ويثور شاعرنا ابن المقرب بعزيمته القعساء متحديا كل الظروف، فانظر مدى الترابط بين حديثه عن نفسه، وما يعانيه من حرمان وشقاء حيث يقول:

سيَعجب الدهر مني ماجد نَجِدُ	لود اس عرنينه أنف الموت لم يُرع
أأقبل النقص والآباء منجبة	والبيت في المجد ذو مرأى ومستمع
لاركبن من الاهوال اعظمها	هولا وما يحفظ الرحمن لم يضع
ولا اكون كمن يسمو وغايته	ومنتهى سعيه للري والشبع
ايذهب العمر لا يخشى معاندتي	خصمي وجاري بقربي غير منتفع
وبين جنبي عزم يقتضي هِمما	لو ضمها صدر هذا الدهر لم يسع
فلا رعى الله ارضا لا اكون بها	سما لمستنكف غيثا لمنتجع
كم عاير الدهر مني صبر مكتهل	اذ ليس يوجد صبرا لعود في الجذع
وكم سقاني من كأس على ظمأ	أمرفي الطعم من صاب ومن سلع (٣)

——————

حياة شاعرنا ابن المقرب حياة يغمرها الحرمان من شتى اطرافها فاذا وصفناه بأنه "شاعر الحرمان" فلا تكون بذلك قد جاوزنا الحقيقة وانما هي عينها.

---

(١) الديوان ص ١٣٦ والقصيدة تبلغ ما يقارب الستين بيتا.
(٢) عمرو بن عامر بن حارثة الازدى، من ملوك التبابعة باليمن كان له تحت سد مأرب حدائق واسعة وقد اهمل شأن السد في ايامه فخرب وتفرقت الازد في البلاد، وكان عمرو سبق ان نبه قومه لهذا الخراب ولكن لم يصيخوا له فكانت النتيجة انهدام السد وتمزق قومه.
(٣) ديوان الشاعر ص ٢٧٣ والقصيدة تبلغ ما يقارب الخمسين بيتا، والصاب شجر مر، والسلع: شجر مر ايضا او سم او ضرب من الصبر.

فأشعاره مزيج من دموع البؤس ، ومرارة الحرمان ، وهي خلاصة تصويريه لواقعه القاتم الاليم المنكوب ، وهذا حافزنا لاطلاق هذا الوصف عليه ، وماصرخاته وندوبه وبرمه بالحياة والناس الا اثر من آثار هذا الحرمان .

ولقد امضى شاعرنا بقيةعمره دون أن يخرج بطائل ودون ان تتحقق له امانيه ، وقد بقيت صرخة الحرمان تتردد في صدره حتى آخر رمق ، وصحبت هذه الصرخة ايضا صرخه التذر والتحذير لقومه من تقلص النفوذ وتسليم مقاليد الامور الى غير أهلها . فلقد تنبأ الشاعر بقرب زوال الدولة العيونية ، وقد حققت الايام التالية هذا القرب .

هذا واذا لم يكن لنا من بد من ان نلخص حرمان ابن المقرب فاننا لا نجد أصدق تعبير من هذه الابيات التي قالها مخاطبا احد ابناء عمه :

ولم يرتعى القوم الجميم ومالنا	غير الألاءة مرتعا والحرمل ؟ (١)
ولم الشقائق والتلاع لغيرنا	ولنا الحطائط قسمهن لم يعدل (٢)
والبارد العذب الزلال لغيرنا	ونُخَصّ بالملح الأجاج الأشكل (٣)
ارحامنا من يوم غيب جدكم	في رمسه مقطوعة لم توصل (٤)
ولِمَ العَدُوّ يروح قرد زبيدة	شبعا ومُضْفى الوُد كلبه حومل (٥)
لولاك قلت وقلت لكني امرؤ	ابدا اصون عن الشكاية مقولي (٦)

=/=/=/=/=

فالحرمان الذى مني به شاعرنا ابن المقرب في حياته ومع ابناء عمه يعتبر هو العامل الرئيسي الذى كون شاعريته واججها وصبغها بصبغة التشاؤم الذى نحسه في كل عبارة من عباراته . فلانكاد نقرأ لشاعرنا بيتا من ابياته الا ونراه مجللا بهذه الصبغة القاتمة — ان صح التعبير ..

(١) الجميم : النبت الذى يطول حتى يصير مثل جمة الشعر ، والنبت الذى طال ولم يتم الالاءة : شجر مر ، الحرمل : ايضا شجر مر لا يؤكل وهو دائم الخضرة في الصيف والشتاء .
(٢) الشقائق : جمع الشقيقة ، وهي الفرجة بين الجبلين تنبت العشب ، أو لعله اراد الزهور المعروفة شقائق النعمان ، والتلعه : ما ارتفع من الارض . والحطيطه : الارض لم تمطر بين بين مطورتين او التي مطر بعضها .
(٣) الاشكل : الكدر . (٤) الرمس القبر . (٥) زبيده : هي زوج الرشيد وام الامين ، وكلبة حول : يضرب بها المثل في الجوع .
(٦) القصيدة في ديوان الشاعر ص ٤٢١ .

الا أن هناك ايضا عوامل اخرى الى جانب هذا العامل اثرت في شعره. الا وهي كثرة تنقلاته ورحلاته واختلاطه بالبادية من جهة والاستفادة منها، واختلاطه ايضا بالأدباء وجلوسه اليهم في بغداد والبصرة وغيرها ، من جهة اخرى. . وهي معاقل العلم والعلماء والادب والشعراء في ذلك الوقت.

كل هذه الاسباب مجتمعة اثرت التأثير البالغ في شاعرية ابن المقرب فأصبح فريد دهره ، وشاعر عصره الذى رفع لواء الشعر في هذه المنطقة وفي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الهجرى كما واننا ايضا لا نعدو الحقيقة اذا اطلقنا عليه متنبي القرن السابع الهجرى ، فهو شبيه من كل جوانب شخصيته وحياته بحياة ابي الطيب المتنبي ، وكذلك في ثورته على الزمن وعلى من حوله من الناس .

ومن اشهر الشعراء المعاصرين له في ذلك الوقت الشاعر العربي الفحل ـ الابيوردى ـ الذي شابه في ثورته وفخره بعروبته شاعرنا ابن المقرب.

وقد ذكرهما الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه "الادب في العصر الايوبي ـ وشبههما ببعض في المنهج الشعري الذى اعتنقاه . وهو الطابع الشعرى القديم. (١)



(١) الادب في العصر الايوبي للدكتور محمد زغلول سلام طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.

الفصل الثالث

خصائص شعـــــــره

أ) الخصائص الاسلوبيـــة :

ابن مقرب شاعر يمتاز بالقدرة على التعبير ، والتمكن من نواصي الكلام ، وهو ـ بالاضافة الى هاتين الميزتين ـ ذو شاعرية فياضة جياشه ، تسندها قريحة وقادة ، وموهبة فذة ، ويعضدهـا ذكاء وألمعية وطموح وتطلع الى ذرا المجد ولقد برزت عنده هذه المقدرة الشعريـــة والطاقة التعبيرية في مجالات مختلفة منها : اختياره في شعره ماجزل من اللفظ وفخم من الكلمات وبخاصة في الاغراض الشعرية التي تحتاج الى الجزالة والفخامة كالمدح والفخر والحماســة ، فألفاظه الشعرية تذكرنا بألفاظ الشعراء الجاهليين والأمويين وغيرهم من الشعراء الذيـــن عنوا في شعرهم بفخامة الألفاظ وجزالة الكلمات ، فالجرد ، والعتاق والعقبات ، والكمات ومخلوجه والغمرات والهبوات ألفاظ قد ارتدت ثياب الفخامة ، واكتست بطيلسان الجزالة وذلك في قوله : (١)

والقائد الجرد العتاق الى الوغـــى يخرجن كالعقبات تحت كماتهـا

والطاعن الفرسان كل مريشـــة مخلوجة ، والخيل في لباتهـا (٢)

والخائض الغمرات حتى ينجلـــى بحسامه ماثار من هبواتهـــا (٣)

كذلك تتسم ألفاظه بالقوة ، والفصاحة ، وبعدها عن الابتذال والسوقية ، تبدو عليها مسحة بدويه هي اقرب ماتكون الى الفاظ الجاهليين وان كان هذا الاختيار يوقعه أحيانا فـــي ألفاظ غريبة حوشية مثل ـ الخواشك ، والدوالك ، والدرانك والبوائك ، وذلك في قوله :

ونؤى كجذم الحوض غير رسمـــه

وجيف الحصى بالموجفات الحواشـــك (٤)

غداة تداعى الحي بالبين بعدمـــا

جلا الصبح اعجاز النجوم الدوالـــك (٥)

---

(١) الجرد : القصيرة الشعر ، والعتاق : الاصيلة ، والوغى : الحرب وهو في الأصل : جلبة الأصوات واختلاطها ، والكماة ـ جمع كمى وهو الشجاع أو الفارس الكامل السلاح .

(٢) المخلوجة : الطعنة ذات اليمين والشمال واللبات ـ جمع اللبة : موضع القلادة من الصدر .

(٣) الغمرات : الشدائد ، والهبوات ـ جمع هبوة وهي الغبرة .

(٤) النؤى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، الجذم : الاصل ، الحواشك : المختلفة أو الشديدة .

(٥) الدوالك : دلك النجم غرب أو قارب المغيب .

قمطر، درفس، قد سرى كأنمـــــا
مناكبه جللن وشي الدرانـــك (١)
وفي الجيرة الغادين لاعن ملالـــة
ظباء على تلك الهجان البوائك (٢)

وبجانب الغرابة التي يلاحظها دارس ديوانه، يجد ان الشاعر قد يختار في بعض الاحايين الفاظا تبدو متنافرة في حروفها ثقيلة على السمع يمجها الذوق مثل: الضبارك، الضكاضك والشكائك، وذلك في قوله:

فمسرورة جدلاء تضفو يولهـــا
على قدم القرن الاند الضبارك (٣)
همام اذا ماهم لم يثن عزمـــه
أقاويل ابناء الطغام الضكاضك (٤)
وحافظ على الذكر الجميل فانمـا
مصير الفتى احدوثة في الشكائك (٥)

ولكن هذه الالفاظ الغريبة تبدو قليلة اذا ما قسناها بالالفاظ التي تتسم بطابع الوضوح والسهولة في شعره.

أما تراكيبه الشعرية فتبدو محكمة النسج، متلاحمة السدى ذات رصانة وتماسك مبرأة من التعقيد ومن ضعف التأليف الا من بعض هنات هينات كقوله:

وليس الاك ندعوه ونندبـــه
لما يقابلنا من دهرنا الخطـــم (٦)

فانه اتى بضمير المخاطب متصلا بعد الا، وذلك غير جائز على المختار لدى النحاة وعلماء اللغة اذ يوجبون انفصال الضمير في مثل هذه الحالة. وكجزمه الفعل المضارع في آخر الشطر الاول من البيت الاتي مع انه مجرد من علامات الجزم، وهو قوله:

---

(١) القمطر: الجمل القوي الضخم، والدرفس العظيم من الابل، والقيسري من الابل: العظيم ايضا، والوشي: النقش والدرانك: ضرب من الثياب أو البسط.
(٢) البوائك: الابل السمان الفتية الحسنة، والقصيدة في الديوان ص٣٠٥.
(٣) المسروده: الدرع المتداخلة النسج، الجدلاء: المحكمة، الضبارك: الاسد الشديد الضخم.
(٤) الطغام، اوغاد الناس، الضكاضك: القصير المكتنز.
(٥) الشكائك: الفرق من الناس اى الجماعات.
(٦) الديوان ص٥٦٢.

نام الفتى وكان قلبك لا يـــنم   خوف المـ الم ساهرا يتقلـــب

....

وتبدو تراكيبه وعباراته الشعرية أحيانا متوازنة الفقر مقسمة تقسيما متماثلا له اثر كبير في احداث تآلف نغمي وموسيقى آخاذ كقوله :

فينطق عن صدق ، ويسمع واعيــــا
ويفهم عن عقل ، فيزهـق باطلـــه (١)

فانظر الى هذه الفقرات التي أحسن الشاعر تقسيمها ، وانظر الى هذه الافعال المضارعة التي يمسك بها عقد التشابه والتماثل فيحدث به ذلك التلاؤم الموسيقي الذى يظهر جليا في البيت ، وكقوله :

وِمنّا عَوَاليها ومنّا دُروعهـــا   ومنّا مواضيها ، وفينا كلامهـــا (٢)

ومما يضاف الى خصائص شعره الاسلوبية طول القصائد بما يدل على اقتدار شعري متمكن ، فالقصيدة الواحدة تقارب مائة بيت أو تزيد كقصيدته الميمية التي مطلعها :

قم فاشدد العيس للترحال معتزمـا
وارم الفجاج بها فالخطب قد فقمـا (٣)

---

(١) انظر الديوان ص ٣٢٨

(٢) الديوان ص ٤٥٩

(٣) انظر القصيدة بكاملها في الديوان ص ٥٢٦ وهي تبلغ مائة وخمسين بيتا .

الخصائص المعنويـــه

أما معانيه فقد أُلبست ثوب السهوله والوضوح فلا معنى يستغلق ، ولا فكره تدق على الفهم ، وهذه ميزه يلاحظها كل من قرأ ديوانه ودرسه ولعل السبب يعود فى ذلك الى ان شاعرنا ابن المقرب قد استلهم الثقافه العربيه البدويه القحه ، فكان تأثره فى معانيه بالشعراء الجاهليين واضحا ، ولم يتسن له ان يطلع على شئ من الفلسفه الاغريقيه او الثقافات الاجنبيه الاخرى حتى يأتي فى شعره بالافكار الفلسفيه المستقله ، والمعانى المنطقيه المبهمه ، ولقد سبق أن ألمعنا الى شي من ذلك حينما ألممنا بثقافته . الا أن شعره بصفه عامه تتمثل فيه قوة الفكرة وضخامة المعنى وبخاصة فى الاغراض التى تتطلب مثل هذه القوة والضخامه كالمدح والفخر والحماسة وما الى ذلك ، وفضلا عما اوردناه فشعره غني بضرب الامثال وسوق الحكم والنصائح وغرس الفضائل والخصال المحموده ، وهذا دليل على سمو الغايه التى أراد أن تكون لشعره وأى قصيده تقرؤها له فانك لابد عاثر على مثل أو حكمه أو خصلة طيبة يمجدها ويحض عليها كما أن شعره غني بالاشارات التاريخيه وتسجيل الحوادث والوقائع السياسية والحربية التى خاض غمارها واصطلى بنارها ، وشاهدها فى عصره فشعره متنفس له أودع فيه كل تجاربه ومواقفه من الصراعات التى صار فى بعض الاحيان قطب رحاها ومسيرها الاول ، علاوة على أن شعره سجل حافل لبعض العادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية التى يزخر بها عصره ، كما يتضح لنا من قوله فى قبيلة هتيم :—

وكيف مقامى بين أوباش قريـــــة   اري الرأس فيها من بها كان اســــفلا

بنى عم من أمسى كثيرا سوامــــه   ولو كان ادنى من (هتيم) وأرذلا (١)

كما نلمس فى شعر ابن المقرب معرفة ببعض انواع اللبس والاكل المستحبه وغير المستحبة فى زمنه كقوله من قصيدة له : (٢)

فخير لعمرى من بساتين مرغــم   على ذى المجارى طلح نجد وشوعها (٣)

ومن ماء نهر الجوهر به لو صفــا   ذبابة حسـي لايرجى نبوعهـــا (٤)

---

(١) ديوان الشاعر ص ٣٦٤ . (٢) ديوانه ص ٢٥٤

(٣) مرغم : محله بالاحساء

(٤) الجوهريه : عين ماء تروى بساتين الاحساء موجوده بهذا الاسم حتى الآن ، ذبابة البقيه من الشئ ، الحسي : مكان من الارض يستنقع فيه الماء وكلما نزحت دلو جمعت أخرى .

ومن (مروزى) بالقطيف ولالس   عباً بوادى طيّ ونطوعها (١)
ومن لحم صاف في أوال وكنعد   ضبابٌ وجرذانٌ كثير خدوعها (٢)

فشعره من هذه الناحية يحق لنا ان نعتبره وثائق تاريخية وسياسية واجتماعية عامة في القرنين السادس والسابع الهجريين اى في الفترة التي عاشها وعايش احداثها واطلع عليها من كثب ونلمس في شعره أيضا صدق العاطفة والشعور والاحساس ولاعجب فهو نبضة من قلبه ، ورعشة من فؤاده ، ووحي من ضميره ، ودمعة من مآقيه ، وكيف لا يكون كذلك وهو لا يقول الشعر الا عند مايحس دافعه ، وحينما يحتاج اليه ليودعه عاطفته الجياشة ومشاعره الثائرة واحاسيسه الفائرة ويعبر من خلاله عن آماله وآلامه وتطلعاته نحو المجد والمستقبل الباسم الوضاح ، كما يتسم شعره باخيلته القصيرة المحدودة ، فهو لا يجنح الى الخيال البعيد ولا يشتط به الوهم ويذهب في عالم بعيد عن الحقيقة ، وكيف يكون كذلك وهو نابع من ارض الواقع الذى عاشه الشاعر ، والحقيقة التي وعى كل ذرة من ذراتها ، وغالبا مايكون الشعر ذا خيال مجنح مغرق في البعد والوهم اذا ماقصد به مجرد التسلية وتزجية الفراغ الذى يحسه الشاعر ، فيغرق نفسه في متاهات الخيال ، ومفازات الوهم الكاذب ، وماأشبه أخيلته تلك المحدودة المعقولة بأخيلة الشعراء الجاهليين النابعة من البيئة والطبيعة القريبة ومايتقلب فيه الشاعر من ألوان العيش والحياة .

وأكاد اقول بعد هذا كله أن الشاعر نسخة من الشعراء الجاهليين والأمويين ، وشعراء العصر العباسي الاول في الفاظه وتراكيبه ومعانيه واخيلته ، ويعتبر من انجب الشعراء الذين وجدوا في العصر الوسيط في تاريخ الأدب العربي .

()(١)()

---

(١) المروزى : ثياب تنسب الى مرو بخراسان ، واللالس : جنس من الثياب الناعمة ، والنطع : ثوب يصنع من الجلد .
(٢) اول : جزيرة البحرين حاليا ، والصاف والكنعد ، صنفان من السمك الجيد .

الفصل الرابع
الدراسات التي كتبت عنه ، وآراء النقاد في شعره

ديوانه :

لابن المقرب ديوان يضم أكثر ماقاله من الشعر ، وهو لا يقل في ضخامته عن دواوين اكثر الشعراء البارزين وقد طبع الديوان اربع مرات هي :

الاولى كانت بمكة المكرمة في ايام العثمانيين سنة ١٣٠٧هـ ولكن هذه الطبعة تيلانها رديئة وسقيمة وغير محققة ، ولذا لم تخل من كثير من الاغلاط ، ولا يمكن للباحث التعويل عليها والاعتماد وحدها .

وهذه الطبعة هي أولى طبعات الديوان ، وجاءت قصائدها مرتبة على حسب الحروف الهجائية للقوافي ، وقد قام بطبعها على نفقته الشيخ عبدالله بن سعيد باخطمه .

أما الطبعة الثانية فقد كانت في الهند بمطبعة (دبرت ساد) عام ١٣١٠هـ أي بعد الاولى بثلاث سنوات: وقد قام بجمع قصائدها الشيخ حمد بن خليفة العيوني وهو بهذه التسمية ينتمي الى العيونيين ولا نعرف ما اذا كان له صلة قرابة بالشاعر أم مجرد تسمية — وقد طبع على نفقة الشيخ عبدالعزيز بن احمد العويصى ، وقد كانت بخط رئيس المحررين بالهند يومذاك ملا محمود بن الشيخ آدم المقدم الكويتى الشافعي ، وترتيب القصائد في هذه الطبعة جاء حسب الحروف الهجائية للقافية أيضا .

وميزة هذه الطبعة انها مشروحة ، وهذا الشرح قديم لا يعرف صاحبه وخيرما في هذه الطبعة انها تصدرت الديوان مقدمة مفيدة ألقت بعض الضوء على حياة شاعرنا واخلاقه . ومكانته الشعرية ، ورحلاته وعلاقاته بحكام عصره . كما اشتمل الشرح الموجود بهذه الطبعة لقصائد الديوان على كثير من الفوائد التاريخية المتعلقة بالبحرين عامة وبالدولة العيونية خاصة .

أما الطبعة الثالثة فقد قام الاستاذ عبدالفتاح محمد الحلو (وهو من مصر وكان مدرسا بمعهد الاحساء العلمي) بطبع الديوان طباعة حسنة ، وقد بذل في ذلك جهدا ملحوظا ، وقام بتحشيته ببعض الشروح ، وعمل له مقدمة مناسبة ، ولكنه اعتمد كما يقول الاستاذ عمران العمران على الشرح المذيل به الديوان المطبوع في الهند اعتمادا واضحا ، كما وانه استفاد أيضا في المقدمة من النقول ، والمقتطفات التي اختارها استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر من بعض كتب التراجم عن ابن المقرب

والمنشورة بالعدد الصادر في ٧/٩/١٣٨١هـ في جريدة (اليمامة) السعودية.
كما اشار الاستاذ عمران الى أن الاستاذ الحلو اضاف الى هذه الطبعة قصائد يشك هو نفسه في نسبتها لابن المقرب، وكان حريا به أن يتحقق قبل أن يعتمد اضافتها وهي القصيدة التي نسبها الشيعة له وسبق الكلام عليها في معتقده.
وعمل الاستاذ الحلو على العموم بطابعه الديوان ونشره يعتبر عملاً جليلاً ومفيداً يستحق عليه الثناء والشكر.

وعلى أى حال فهذا الديوان هو الذى يمكن الاعتماد عليه بعد الطبعة الهندية لدارس شعر ابن المقرب.

واخيرا قام سمو الشيخ علي آل ثاني - حاكم قطر السابق - بطبع ديوان الشاعر على نفقته الخاصة، وذلك عمل جليل يستحق عليه الثناء والشكر بتشجيعه للعلم والادب وحرصه على نشره ولكن كم تمنينا لو وكل سموه الى نخبة من أهل العلم والادب بتحقيق الديوان تحقيقا علميا متقنا قبل طبعه.

أما بالنسبة لمخطوطات الديوان الموجودة في العالم فقد أوجزها فيما يلي نقلا عن كتاب الاستاذ العمران (١) وهي :

١- نسخة موجودة بمكتبة البلدية بالاسكندرية بمصر، وقد تم نسخها سنة ١٢٨٤هـ.
٢- نسخة بالمكتبة الماجدية بمكة، وهي تطابق النسخة المطبوعة بالهند من بعض الوجوه. وهذه النسخة هي بخط ناصر بن حمد بن لاحق من تلاميذ الشيخ صالح العتيقي من أهالي مدينة المجمعة بنجد - وقد نسخها بن لاحق بالاجازة من شيخه العتيقي، وتعتبر هذه النسخة من أتقن نسخ الديوان المخطوطة وقد تم نسخها في رجب ١٢٩٤هـ.
٣- يوجد في مكتبة الحرم المكي نسخة مخطوطة تضم طائفة من اشعار ابن مقرب.
٤- ذكر الدكتور داود الجلبي في (مخطوطات الموصل) صفحة ٤١ أن في مكتبة المدرسة الاسلامية التابعة للنادى العلمي في الموصل نسخة من (ديوان ابن مقرب العبدلي ...).
٥- نسخة خطية موجودة بدار الكتب المصرية بقسم المخطوطات، وقد كتبها بقلمه امين حسن ابو القاسم وذلك سنة ١٠٦٧هـ.

---

(١) حياته وشعره لعمران العمران ص٢٩.

٦ـ نسخة خطية ثانية بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية ايضا ، مكتوبة سنة ١٢٨٦هـ وهي في (١٢٥) ورقة . وقد كانت هذه النسخة ملك الشاعر الشهير محمود سامي البارودى ، وتعتبر هذه النسخة اكثر شمولا لشعر ابن مقرب .

٧ـ نسخة خطية ثالثة بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية وكتابتها سنة ١٢٩٣هـ بقلم خليل الشبكشي .

٨ـ نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بمدريد (اسبانيا) . وهي غير مبوبة وتفقد اكثر من شعر الشاعر .

٩ـ نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

١٠ـ نسخة بمكتبة فيض الله ـ باسطنبول ـ بتركيا ـ .

١١ـ نسخة بمكتبة المتحف البريطاني ـ بلندن .

١٢ـ نسخة بمكتبة برلين .

==*=*

هذا بالنسبة لديوان الشاعر ، أما بالنسبة لدراسة حياته فلم يرد ذكره الا ماورد منه لماما في بعض كتب التراجم في شكل تعريفات مقتضبة بعضها لا يتجاوز السطرين أو الثلاثة ، ومع ذلك فان هذه التعريفات قد ألقت الضوء على اسم الشاعر ونسبه وولادته ووفاته فقط .

ولعل أول من تناول دراسة حياته وشعره الاستاذ عمران العمران في كتابه حياة بن مقرب وشعره ، فهي كما ذكر مجموعة مقالات كتبها ورتبها وبوبها وجعلها في كتيب عن حياة الشاعر ويعتبر من المراجع التي تفيد الدارس لشخصية شاعرنا ابن مقرب .

ولقد ورد ذكره في بعض الصحف ، منها ماساقه الشيخ العلامة حمد الجاسر في جريدة اليمامة السعودية في عدد ٧/٩/١٣٨١هـ حينما سئل عن ابن مقرب ، فقد أورد في مقالته هذه بعض التراجم التي تحدث اهلها عن ابن المقرب مثل ياقوت الحموى صاحب كتاب معجم البلدان ، وابن نقطة البغدادى الحنبلي في كتابه " المستدرك " الذى استدرك به على كتاب " الأكمال " لابن ماكولا .

وكذلك بن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) المصور بمعهد المخطوطات ، وكذلك أورد ماقاله الحافظ المنذرى المتوفي سنة ٦٥٦هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩هـ وهي السنة التي توفى فيها

شاعرنا ، كما أورد ماقاله ابن الفوطي البغدادى في كتابه (تلخيص مجمع الاداب) وماقاله الصفدى في كتابه (الوافي) .

وكل هذه المعلومات الموجودة عن شاعرنا في كتب التراجم التي أوردها الشيخ حمد الجاسر في مقالته لا تعدو الصفحة الواحدة في كل كتاب ان لم تكن أقل من ذلك .

وقد ورد ذكره في مقاله قدمها درويش المقدادى في مجلة العربي الكويتية في عددها (١٧) ابريل نيسان سنة ١٩٦٠م . كما ورد ذكره في مجلة الأديب اللبنانية في عددها يونيو سنة ١٩٥٥م بقلم الاستاذ بجامعة برشلونه محسن جمال الدين تحت عنوان ديوان ابن المقرب .

وكذلك ماقاله الاستاذ محمد عباس القباج في مجلة الأديب ايضا في في عدد اكتوبر سنة ١٩٥٥م وهو تعقيب على ماقاله محسن جمال الدين ولقد تناوله بالتعريف الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه الأدب في العصر الايوبي ص ٢٥٤ وقال عنه انه شاعر بدوى وطنا وشعرا ، وكل شعره دعوة للحرب والنضال ، وامتشاق الحسام ورفع السلاح .

هذه هي جميع الدراسات التي كتبت عن شاعرنا ابن مقرب ، وهي لا تعتبر دراسات بالمعنى الصحيح وانما تعتبر معلومات يمكن بواسطتها التعرف على شخصية هذا الشاعر الذى مني بالشيء الكثير من الغموض ، علماً أن المطلع على ديوانه يجد أنه يستحق البحث العميق ، وجدير بالدراسة الوافية ولعلي من خلال هذا البحث قد ساهمت بابراز شخصية فذة من شخصيات ادبنا العربي الذى حمل لواء الشعر العربي في عصر اقفرت فيه الجزيرة العربية من فحول الشعراء وبهذا يعتبر ابن المقرب شخصية أدبية لم يعثر عليها الا المهتمون بأدب منطقة البحرين نظرا لقلة المراجع التي تكلمت عنه أو ذكرته .

أما بالنسبة الى ماقاله النقاد في شعر علي بن المقرب فقد قال عنه أحد معاصريه ، والذين اخذوا عنه بعض شعره ، وهو ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤هـ في كتابه — قلائد الجمان في شعراء الزمان ، مانصه: (... وكان شاعرا مجودا منتجعا ، كثير المدح قليل الهجاء ، جيد القول ، متينه قوى اللفظ رصينه ، وهو أحد الشعراء الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين ، اقر له بالحذق أئمة العراق من ذوى الأدب والعلم ، ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء الاقدمين في جزالة الالفاظ وابداع المعاني) . .

فهذه شهادة من أحد العلماء والمعاصرين الذين سمعوا شعره فابدوا فيه رأيهم، وأنه يعتبر بحق من الشعراء المشاهير في تلك الحقبة من الزمن، كما وان أئمة العراق من ذوى الأدب والعلم قد اقروا لابن المقرب بالحذق والنباهة. ومنهم حامل لواء العربية وامامهم الشيخ العلامة محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى الحنبلي، وقد أشار الشاعر الى ذلك في احدى قصائده حيث قال:

وقد تقدمت سبقا من تقدمني   سنا وادرك شاوى فارط الاول

بذاك قدوة أهل العلم قاطبة   ابو البقاء محب الدين يشهد لي

ولقد اشرنا الى هذه الشهادة في معرض حديثنا عن حظ شاعرنا من المعرفة كدليل على تمكنه من اللغة العربية ومفرداتها .

وقد قال عنه احد المعاصرين له ايضا ومن الذين اجتمعوا به وسمعوا شعره وهو الحافظ المنذرى المتوفي سنة ٦٥٦ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ هـ جـ ٦ ٤ . بعد ما ذكر اسمه، وانه قدم بغداد وحدث بها شيئاً من شعره، ودخل الموصل ومدح ملكها قال عنه ما نصه "وكان شاعرا مجيدا مليح الشعر". وهذه ايضا شهادة علم من اعلام الادب والعلم في ذلك العصر بأنه من الشعراء المجودين لشعرهم ومليحي الشعر مقبوله.

واطلالة واحدة في ديوان شاعرنا ابن مقرب كفيلة بان تعطي القارىء اعجابا بشعر هذا الشاعر، وانطباعا كاملا عن حسن شعره وجودته. ولكن ظهوره في هذا العصر الوسيط هو الذى جعل الادباء والمتطلعين الى الادب العربي واحيائه يغفلون الاشادة به، اضافة الى عزلة هذه المنطقة عن مراكز العلم والادب في العالم العربي .

ولقد قال عنه الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه "الادب في العصر الايوبي" (١) انه يتمثل بأبي الطيب المتنبي في شعره وصوره ومعانيه حيث قال:

وأزمع وضع وأعتزم وأنفع وضر وصل   وأقطع وقم وأنتقم وأصفح وجد وهب

مقلدا بيت المتنبي المشهور:

أَقِل أَنِل أَقطع أَحمل عل سل أعد   زد هش بش تفضل أدن سر صل

---

(١) الادب في العصر الايوبي للدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٥٥ .

فهذه المقارنة التي قالها الدكتور سلام شهادة عظيمة لشاعرنا ابن مقرب، حيث قورن شعره بشعر ابي الطيب المتنبي الذى يعتبر في الذروة العليا من شعراء العربية، وهو بحق كبير الشبه الى حد كبير بشعر ابي الطيب في ثورته على الزمان، وبرمسوء من الايام والاصدقاء.

وفي معرض المشابهة بين هذين الشاعرين يحلو لنا ان نلقي بعض الضوء على ما لمسناه من المشابهة بين شعريهما، فانظر الى قول ابن مقرب مادحا تاج الدين ابراهيم محمد بقوله:

بمعاديك لا بك الاسواء ولحسادك الثرى لا الثراء (١)

وقول المتنبي مادحا صديقه سيف الدولة:

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الالم

فالتقارب هنا واضح جدا، والبيتان اعتقد ان صح الاعتقاد انهما متكافئان .

وهذه القصيدة لابن مقرب يكثر فيها الترادف مع بعض معاني قصيدة المتنبي .

وانظر ايضا الى قول ابن المقرب:

فوأسفا ان مت لم أوط أرضكم كتائب خيل تهتدى بكتائب (٢)

وعجز هذا البيت يحاكي في متنه وتعبيره عجز قول المتنبي :

اذا ماسروا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

وكقول ابن مقرب:

جود الاكارم اخبار، وجودهم شيء تراه، وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ (٣)

نراه قد تأثر ايضا بالمتنبي في قوله بعد خروجه من مصر غاضبا :

جود الرجال من الايدى وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

وهذا التأثر جلي واضح .

ويقول ايضا ابن مقرب:

وما العز الا في صها كل سابح وما المال الا في شبا كل قاضب (٤)

ويقول المتنبي :

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير صديق في الزمان كتاب

---

(١) ديوان الشاعر ص٢٣ .

(٢) ديوان الشاعر ص٢٧

(٣) = = ص٢٤٥

(٤) = = ص٦٦ .

فالمعنى مترادف في الشطرين الاولين من بيتي ابن مقرب والمتنبي .

ويضيق بنا المجال لوتتبعنا هذا التشابه عند الشاعرين ولكن الجدير بالذكر اننا لانعدو الحقيقة حينما نقول أن شاعرنا ابن المقرب هو صورة طابق الأصل من نفسية وشعر وشخصية ابي الطيب المتنبي ، ولا نعدو الحقيقة ايضا حينما نطلق على شاعرنا ابن المقرب متنبي القرن السابع الهجرى .



مختارات من شعره

قال يمدح الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن علي ، وقد ملك الاحساء وهو في غيبته في بغداد سنة ٦٠٥هـ ، ونرى في هذه القصيدة كيف بدأها متغزلا على عادة القدماء من الشعراء ، ثم انتقل الى مدح قومه والافتخار بهم وبأصولهم العالية ، ثم يعرج ايضا فيشكو من الزمان وكثرة الحساد وتواطئهم عليه ، يخلص اخيرا الى الفخر بنفسه ويختمها بمديحه لابن عمه ، والقصيدة تبلغ (٨٢) بيتا بدأها بقوله : *

خذوا عن يمين المُنحنى أيهَا الركبُ ... لنسأل ذاك الحَيّ ماصنع السّرب

عسى خبرٌ يُحيي حشاشة وامقٍ ... صريع غرام مايُجفّ له غـرب (١)

بأحشائه نار اشتياق يُشُبّهَا ... زفير جوىً يأبى لها النأيُ أن تخبو

ألا ليت شعرى والحوادثُ جمّةٌ ... وذا الدهرُ سيفٌ لا يقام له عضب (٢)

عن الحَيّ بالجرعاء هل راقَ بعدنا ... لهم ذلك المرعى ومورده العذب (٣)

وهل اينع الوادى الشماليّ واكتستْ

عثا كيل قنوانٍ حدائقُه الغلبُ

وهل بعدنا طاب المقام لمعشر ... بحيث تلاقى ساحة الحي والدرب

وهل عندهم من لوعةٍ وصبابةٍ ... كما عندنا والحُبُّ يشقى به الحِبُّ

وهل علمت بنت المقاول انني ... بأخرى سواها لا أهيمُ ولا أصبو

وبيضاء مثل البدر حسنا وشارة ... يزين بها السِّب المزبرق والاتْبُ (٤)

اذا مانساء الحي رحن فانها ... لها النظرة الأولى عليهن والعقب

تحيّر فيها رائق الحسن فاغتدتْ ... وليس لها فيهن شكلٌ ولا تِرْبُ

بدت سافرا من ضرب دينار والصبا

برنحها والدل والتيه والعجب

رأتني فأبدت عن أسيلٍ وحجّبت ... بذى معصم جدل يغصّ به القُلْب

وقالت غريب والفتاة غريبة ... ولا في نكاح الحلّ ذامٌ ولا ذنب

فقلت لها اني ألوف ولي هوى ... ومالي في بغداد شعب ولا سرب

---

(١) الغرب: الدمع ، أوعرق في العين يسقى لا ينقطع .
(٢) العضب: السيف القاطع.
(٣) الجرعاء: محلة بالاحساء.
(٤) السب المزبرق بالخمار أوالعمامة المصفرة ، والاتب: برد أو ثوب يؤخذ فيشق في وسطه ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب.
* ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٦ .

فقالت: وأين الشعب والسرب والهوى
فقلتُ بحيث الكرّ والطعنُ والضرب

فقالت: أرى البحرين دارك والهوى
بنوك وهذا ما أرى فمن الشعب

فقلت: سلي حيّ نزار ويعرب ... بأعظمها خطباً اذا استبهم الخطب
وأمنعها جاراً وأوسعها حمىً ... وأصعبها عزاً اذا استرحل الصعب
وأنهرها طعناً وضربا ونائلا ... اذا اغبرّت الآفاقُ واهتزت الحربُ
واقتلها للملك صعر خده
قديمُ انتظام الملك والعسكر اللجب

فقالت: لعمرى انها لربيعة ... بنات المعالي لا كلاب ولا كلب

. . . .

ومضى في هذه القصيدة معددا مفاخر قومه العيونيين حتى قال:

أولئك قومي حين أدعو وأسرتي ... وينجبني منهم شمارخةٌ غلب (١)
وما أنا فيهم بالمهين وانني ... اذا عُدّ فضلُ فيهم الرجل الضرْب (٢)

لي البيت فيهم والسماحة والحجا
وذو الصبر حين الباس والمقول الذرب

وانّ انفرادى عنهم وتغربي
ترامى بي الأمواج والحزن والسهب

بغير اختيار كان مني ولا قلى ... وانهم للعين والانف والقلب
ولكنها الايام تُبعد تارةً ... وتُدني ولا بعدٌ يدومُ ولا قرب

واني حفيٌّ عنهم وسائل
بهم حيث يثوى السفرُ أو ينزل الركب

وكم قائل لي عدّ عنهم فانه ... مع الا لم المضاض قد يُقطع الأرب (٣)

فقلت: رويدا قد صدقت وذلكم
اذا لم يكن فيه لحامله طبُّ

اذا لم أداو العضو الا بقطعه ... فلا قضبٌ يبقى لعمرى ولا قضْبُ

---

(١) شمارخة: جمع شمراخ، وهو أعلى الجبل، والغلب: جمع الأغلب، وهو الغليظ العتق.
(٢) الضرب: الرجل الماضي الندب.
(٣) الارب: الحاجة.

واني بقومي للضّنين وانّني
على بُعد داري والتّنائي بهم حَدْبُ

ولي فيهم سيفٌ اذا ما انْتضيته
على الدهر أضْحى وهو من خيفةٍ كَلْبُ

على أن حدّ السيف قد ربّما نبا — وفلّ وهذا لا يُفلّ ولا ينْبُو
هماماً علت هماته فكأنما — يحاول أمراً دونه السّمعة الشّهب
علا كل باع باعه وتواضعت — لعزّته وانقادت العُجْم والعَرب
سليلُ علاً من دوحةٍ طاب فرعها — وطالت ذُرى أغصانها وزكى التّرب
يبيت مناويه يساوره همه — ويقْضي عليه قبل يقْضي له نحب
سماً للعلا من قبل تبقيل وجهه — فأدركها والمأثرات له صحب
هو البدر لكن ليس يستر نوره — حجاب ونور البدر يستره الحجب
هو الليث لكن غابه البيض والقنا — هو النَصل لكن كل متْن له قرب
هو الموت لكن ليس يقتل غيلةً — هو البحر الا أنّ مورده عذب
وما غالبته منذ كان كتيبةٌ — لتظهره الا وكان له الغلب
وما هابت الأملاك بكرام العلا — لعزّتها الا وكان له الخطب
أتاني من الانباء عنه غرائبٌ — فلذت بها الأسماع واستبشر القلب
بعطف على ود العشيرة صادق — ورفض عداها لا محال ولا كذب
وتجميرها من كل أوبٍ حميةً — عليها فزال الخوف والتأم الشّعب (١)
أبا ماجد أنظر الى ذى قرابة — بعين رضاً يغضي لها الخائن الخِبُّ (٢)
فان الوداد المحْض مالا يشوبه اخ — تلاب وبعض القوم شيمته الخُلب (٣)
وغِظْ باصطناعي معشراً ان دعوتهم — لنائبةٍ أبوا وان أمنوا نبّوا
خطاطيف في حمل الأباطيل بل هم — أخف وفي الجُلّى كأنهم الخُشب

لي الطول والفضل المبين عليهم
وهل يستوى عالي الشناخيب والهضب (٤)

---

(١) التجمير: التجميع، والشعب: التفريق والصدع.
(٢) الخب: الخداع.
(٣) الاختلاب والخلب: الخديعة.
(٤) عالي الشناخيب: رؤس الجبال العالية.

وأقسمُ لولا ودلك المحض لم تَخُضْ ... الى بلد البحرين بى بُزّلٌ صهب (١)

وقد كان لي في الأرض منأى ومرحل ... وماضر أهل الفضل من أنهم غرب

وثانيةً أنى أغارُ عليكم ... اذا ماجزيل النظم سارت به الكتب

وجاء مديحي في سواكم فَيالَها ... حُوَيْجَةٌ يأبى لها الماجد النّدب

هناك يقول الناس: لو أن قومه ... كرام لكانت زندهم عنه لا تكبو

فان امتداحي غيركم كهجائكم ... وذلك مني ان تَحَرَّيته عتبُ

وعندى مما ينسج الفكرُ والحجا ... سرابيل تبقى ماترادفت الحقب

أضن بها عن غيركم وأصونها ... ولو بعث الطائي ذو الجود أو كعب (٢)

فصن حُرُوجْهي عن سوالٍ فانه ... عليّ ولو عاش ابن زائدة صعبُ

ورُدّ كثيرا من يسير تقُتّ به ... فرا خاقد استولى على ربعها الجدب

فبحرك للورّاد ذو متغطمطٍ ... وربعك للوفاد ذو سعة رحب (٣)

=()=()=

وقال يعاتب ابن عمه الامير فضل بن محمد ويلومه لاجل جفائه وقطيعته لرحمه،(٤) ويذكره بما جرى عليه من جهة ميله اليهم ، ويضرب له الامثال الموجعة، ويظهر الندم على ماقاله فيه من المدح ، والاطراء ، وقد انشدها اياه ورحل لوقته حيث قال :

تَجافَ عن المُتبى فما الذّنب واحدٌ ... وهب لصروف الدّهر ما أنت واجد

اذا خانكَ الادنى الذى أنت حزبُه ... فلاعجبا ان اسلمتكَ الأباعد

ولا تشك احداثَ الليالي الى امرىءٍ ... فذا الناس اما حاسد أو معاند

---

(١) البزل: الجمال انشق نابها ، والصهب: جمع الأصهب، وهو الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) كعب بن مامة الايادى: كريم جاهلي ، يضرب به المثل في حسن الجوار.

(٣) متغطمط: مضطرب عظيم الامواج كثير الماء.

(٤) الديوان ص ١٤٠ .

وعد عن الماء الذى ليس ورده ... بصافٍ فما تَصفو عليك المـوارد

وكم منهل طامى النواحى وردتـه ... على ظماء وانصعت والريق جاسد (١)

فلا تحسبن كل المياه شريعـة ... يبلّ الصدى منها وتوكى المزاود

فكم مات في البحر المحيط أخو ظمـا

بغلتـه والموج جـار وراكـد

وان وطن ساءتك اخلاق أهلـه ... فدعه فما يغضي على النقص ماجد

فهاجر أم غذتك لبانهـا ... ولا الخط اذ فارقتها لك والـد (٢)

وقد ربما يجزى على الصد والقلى ... أب وأخ والمرء ممن يساعـد

فبت حبال الوصل ممن تـوده ... اذا لم يرد كل الذى أنت وارد

وقل لليالـي كيف ماشئت فاصنعي

فان على الاقدار تأتي المكائـد

ولا ترهـب الخطـب الجليل لهولـه

فطعم المنايا كيف ماذقت واحـد

ندمت على مدحي رجالا وسرني ... بأن صنتني قبل ذاك الملاحد

وحق لمثلي أن يموت ندامـة ... اذا أنشدت في الناس تلك القصائد

ومنهـا :

فليس بصاد الى المجد عاجـز ... نئوم تناديه العلى وهو راقـد

وفي السّعـى عذر للفـتى لو تعـذرت

عليه المساعي أو جفته المقاصـد

خليلي كم أطوى الليالي وعزمـتي

تنولني الجوزاء والجد قاعـد

وكم ذا أنا حيّ همة دون همـها ... نجوم الثريا والسهى والفرائـد

ويقعدني عما أحاول نكبـة ... جرت وزمان عاثر الجد فاسـد

واخوان سوءٍ ان ألمت ملمـة ... يسوء فهم أسّا سها والقواعـد

يسرون لى مالا أسر فكلهـم ... على ذاك شيطان من الجن مارد

---

(١) منهل طام : عال ممتلىء ، وانصاع : انفتل .

(٢) الخط : مرفأ بالبحرين .

لقد بذلوا المجهود فيما يسوئني ... وقد كنت أرمي دونهم وأجالد

فياليت أني حال بيني وبينهم ... جذام وخولان بن عمرو وغامد

وصفد أدنانا الى الغدر كاشح ... كفور بوحدانية الله جاحد (١)

وأعجب مالاقيت أن بني ابي ... حسام لمن يبغي جلادي وساعد

عزيزهم ان لذت يوما بظله ... رأيت سموما وهو للخصم بارد

وسائرهم اما ضعيف فضعفه ... له عاذر أو مبغض لي مجاهد

هم ألحموني النائبات وأولعت ... بلحمي أسود منهم وأساود

وهم تركوا عمدا جنابي ومربعي ... من الجدب لا يرجو به الخصب رائد

وهم شتموا بي حاسدي وذلكم ... من الامر مالا ترتضيه الأماجد

ومالي ذنب غير در نظمته ... وأسناه تيجان لهم وقلائد

واني على أحسابهم وعلاهم ... غيور وعن بحبوحة المجد ذائد

وأحمى عليهم أن تدبر أمرهم ... زعانف أهداها عن الرشد حائد

ولو قبلوا من ذلك الذنب توبة ... لآليت ألفا أنني لا أعاود

فسبحان ربي كيف صاروا فانما ... قلوبهم لي والأكف جلامد

فلا يصفح القلب الذي أنا آمد ... ولا يسمح الكف الذي أنا حامد

أيا فضل قد طال انتظاري ولم يقم ... شتاء وقيظا عند مثلك وافد

وقد زالت الاعذار لا الغوص بائر ... ولا البحر ممنوع ولا الدخل فاسد

ولا أنت محجور التصرف في الندى ... عليك رقيب في نوالك راصد

ولا في بني فضل بخيل وانهم ... اذا أغبرت الآفاق غر أماجد

فمن أين يأتي اللوم يا ابن محمد ... ومجدك في بيت العيوني زائد

---

(١) صفده شده وأوثقه . الكاشح : المبغض .

أترضى بأن تفندوا تسامى ركائبي
حمولاتها كيرانها والمقاود (١)

لعق مديجي أم لحق مودتي — لكم أم لأن البيت والجد واحد
فلا تقطعن ما بيننا من مودة — وقربى وخل الشعر فالشعر كاسد
ولا تنسين ما نالني في هواكم — وقد ظفر الساعى وقل المساعد
يقوم به حياً نزار ويعرب — شهود وفي الدعوى يمين وشاهد

لقد كنت أرجو في جنابك حالة
يموت لها غيظاً غيورٌ وحاسد

فهات فقل لي ما أقول لاسرتي — فكل عن الاحوال لابد ناشد
وكلهم سام الي بطرفه — يظن بأن الزارع الخير حاصد
وما فضل من لا يرتجى لملمة — تلم ولا تبغى لديه الفوائد

فذو المجد كالدينار والشعر جوهر
يحك به والناظم الشعر ناقد
ولا خير في مستحسن النقش مطبق
اذا حك نقته الاكف النواقد
فلاتتكل يافضل في الفضل والندى
على سالف اسداه جد ووالد

فلا حمد الا بالذى يفعل الفتى — ولو كثرت في أوليه المحامد

فكن عند ظني فيك لا ظن عاذل
نهاني عن قصديك فالمال نافد
فقد تصل الارحام في عقر داركم
وترتاح للجود الإماء الولائد
وغير خفي نيل من تعرفونه
وهل لضياء الشمس في الأرض جاحد
فعش وابق واسلم وانج من كل غمة
جنابك محروس وملكك خالد (٢)

---

(١) الكيران : جمع الكور ، وهو الرحل أو بأداته ، والمقاود : مايقاد به الفرس أو البعير .
(٢) وهذه القصيدة تبلغ (٧٣) بيتا كلها عتب وفخر وشكوى .

وقال يرثي القاضي محمد ابن ابراهيم المستوري بهذه القصيدة العصماء التي تفيض أسا وحسرة على الفقيد الذي اخترمته يد المنون ، وقد عدد فيها مزايـــاه واخلاقه فقال : *

غرامٌ أثارته الحمام السواجـــع ... ونارُ جَوًى أذْكَت لظاها المدامـع
وقلب اذا ماقلت يعقب راحـــة ... أبَتّ حُرَقٌ تأتي بهن الفجائـــع
أفي كل يوم للحوادث عـــدوة ... لها في سويداء القلب صادع (١)
فلو ان هذا الدهر لا در دره ... يسالم ارباب العلى ويــوادع
ولكنه يختار كل مهـــذب ... له الفضل فينا واللُّهى والدّسائع (٢)
أبعد ابن ابراهيم يادهر يبتغى ... اليك خلود أو ترجّى صنائــع
تعست لقد علّمتنا بعده البكــا ... وعرفتنا بالثكل ما الحزن صانــع
فتى كان برا بالعشيرة راحمـــا ... رءوفا بها لا تزدهيه المطامــع (٣)
ولم تلقه في محفل من نديـــه ... يشارى على ماساءها ويبايــع
ولوشاء جازى بالعفو بقدرة ... ولكن له من خشية اللـــه رادع
يصد عن العوراء حتى كأنمـــا ... به صمم عما يقول المقـــاذع (٤)
كريم الثنا تأبى الدنية نفســـه ... همام لأبواب الحوادث قـــارع
له حكم مأثورة حين تلتقـــى ... بآرائها عند الملوك المجامـــع
يقول فلا يخطـــي اذا ما تأخـــرت ... عن القول سادات الرجال المصاقـــع (٥)
جميل السجايا كلما ازداد رفعـــة ... تواضع حتى قيل ماذا التواضـــع
سواء عليه في القضية من دنـــت ... به الرحم القربى ومن هو شاســع
نشا مذ نشا لم يدر ما الجهل والخنـــا ... وساد بنى أيامه وهو يافـــع
ولا عرف العوراء يوما ولا انتحـى ... الى خطة يبغى بها من يقـــاذع (٦)
اذا قيل من أوفى معد بذمـــة ... أشارت اليه بالبنان الأصابـــع
لقد فجعت غُنْمٌ وبكْرٌ وطوطِئَـــتْ ... لمهلكــه أكتادها والقبائــــع (٧)

(١) العدوة : المرة من الاعتداء ، وسويداء القلب : حبته ، وتصدع : تكسر .
(٢) اللهى : العطايا الكثيرة ، والدسع : اعطاء الدسيعة ، للعطية الجزيلة .
(٣) تزدهيه المطامع : تستميله وتغريه . (٤) المقاذع : الرامي بالفحش وسوء القول .
(٥) الرجل المصقع : البليغ (٦) الخطة : الطريقة ، ويقاذع : يبادل الناس الشتائم والسباب
(٧) الكتد محركة ، مجتمع الكتفين من الانسان والفرس أو الكاهل أو ما بين الكاهل الى الظهر .
القبع : ان تطاطي رأسك في السجود .
* القصيدة من ديوان الشاعر ص ٢٧ تحقيق الحلو .

كما فجعت من قبله بجـــــد وده بنو جشم والمجد للمجد تابـــع
فصبرا بني مســـتور فالدهــر هكــــذا
وكل عليه للمنايا طلائــــــــــع
ففيكم بحمد الله حصن ومعقــــل ونور مبين يملأ الأفق ساطــع
فمن كان عبد الله منه خليفـــــة فما مات الا شخصه لا الطبائـــع
فـتى لم يـــزل مذ كـان قبل احتلامـــه
يدافع عنكم جاهـــدا ويصانـــــع
فما عاش فالبيت الرفيـع عمـــاده يطول على الأيام والربع واســـع
وقيت الردى والسوء يا با محمــد وحلت بمن يهوى رداك القوارع
تعز فكل سالك لسبيلـــــــــه
وكل أمرئ من خشـية الموت جـــــازع
ونحن سواء في المصاب وان نأت بنا الدار فالأرحام منا جوامـع
ولا شك منا في التأســـى وانمـــا تعزيك اذ جاءت بذاك الشرائع

***

وقال في هذه القصيدة يفتخر بأبائه وهي تبلغ (١٥٠) مائة وخمسين بيتا ، وتعتبر سجلا تاريخيا للدولة الصيونية فقد عدد امرائها واحدا واحدا ذاكـــرا مفاخرهم وأيامهم وفضائلهم بقولــــه :— *

قم فاشدد العيس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقمـا
ولا تلفت الى أهل ولا وطــــن فالحرير حل عن دار الأذى كرمـــا
كم رحلـــة وهبت عزا تديـــن لــــه
شوس الرجال وكم قد أورثت نعمـــــــا (١)
وكم اقامة مغرور له جلبـــــت حتفا وساقت الى ساحاته النقمــا
واسمع ولا تُلْغِ ما أنشأت من حكـــــم
فذو الحجا لم يزل يســـتنبط الحكمـــــا (٢)

---

(١) رجل أشوس: متكبرلا ينال ، والشوس (بالتحريك) : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا.
(٢) الحجا : العقل .
* القصيدة بديوان الشاعر ص٥٢٦ تحقيق الحلو.

لم يبك من رمدت عيناه أو سبلت
جفناه الا لخوف من حدوث عمى (١)

أن المنية فاعلم عند ذي حسب ... ولا الدنية هان الامر أو عظما
من سالم الناس لم تسلم مقاتله ... منهم ومن عاش فيهم بالأذى سلما
لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع ... اذا رأى الشر تغلى قدرة وجما
وذو النباهة لا يرضى بمنقصة ... لو لم يجد غير اطراف القنا عصما
وذو الدناءة لو مزقت جلدته ... بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما
ومن رأى الضيم عارا لم تمر به ... شرارة منه الا خالها أطما (٢)
وكل مجد اذا لم يبن محتده ... باليأس نقّره الأعداء فانهدما
لا يضبط الأمر من في عوده خور ... ليس البغاث يساوي أجدلا قطما (٣)
وللبيوت سطاعات تقوم بها ... لا خروعا جعلت يوما ولا عنما (٤)
ماكل ساع الى العلياء يدركها ... من حكم السيف في أعدائه حكما

من أرعف السيف من هام العدى غضبا
للمجد حق له أن يرعف ألقلما (٥)

لا تطلب الرأى الا من أخي ثقة ... لا يصدر القوم من لا يورد العلما
ولا يعد كريما من مواهبه ... تمسي وتصبح في أعدائه ديما
والبخل خير من الاحسان في نفر ... أبرّهم بك من أغرى ومن شتما
وواضع الجود في أعداء نعمته ... كمودع الذئب في بريّةٍ غنما

ومنها :

سل القرامط من شظى جماجمهم ... فلقاً وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم ... وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها ... أرض العراق وتغشى تارة أدما
وحرقوا عبد قيس في منازلها ... وصيروا الغر من ساداتها حمما

وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصوا منهم صنما

---

(١) سبلت عينه : أصابها السبل ، وهو شبه غشاوة تعرض في العين .
(٢) الاطُم : الحصن : والأطيمة : موقدة النار .
(٣) الخور : الضعف ، والبغاث : ضعاف الطير ، والاجدل : الصقر ، والقطم : مشتهى اللحم
(٤) سطاعات البيت : أعمدته . والعنم : خيوط شجرة لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان .
(٥) ارعف السيف : جعله يقطر دما من رؤوس الاعداء .

وما بنوا مسجداً لله نعرفه … بل كل ما أدركوه قائماً هدما

حتى حمينا على الاسلام وانتدبت … منا فوارس تجلوا الكرب والظلما

=•=•=•=•=

وبعد أن عد اسماء قومه ومفاخرهم ختمها بقوله :

منا الرجال الثمانون الذين هم … يوم القطيعة أوفى معشر ذمما

لاقوا ثلاثة آلاف وما جبنوا … عنهم ولا استشعروا خوفاً ولا برما

فطاعنوهم الى أن عاف طعنهم … من كان يحسبهم غُنْماً اذا قدما

أفعال آبائهم يوم الركين ومن … يشبه أباه فلا والله ما ظلما (١)

اذ طير التل يوم القصر كرههم … على الاعاجم حتى باد بينهما

نحن الثمال فمن يكفر بنعمتنا … كنا المثمل يدني الحتف والسقما (٢)

أبياتنا لذوي الآمال منتجع … اذا الزمان يرى كالعير أو غرما (٣)

وما عددت غشيراً من مناقبنا … ومن يعد ثرى يبرين مرتكما

* * * * * *

---

(١) الركين لعله تصغير الركن (بضم الراء والكاف) وهو موضع باليمامة .

(٢) ثمال القوم : غياثهم ومن يقوم بحوائجهم والمثمل : السم الذي انقع اياما حتى اختمر ، والحتف : الموت .

(٣) والمنتجع : موضع طلب الكلأ والمعروف ، والعير : الحمار ، وعرم فسد . ويبرين : رمل يوصف بالكثرة بينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان .

خاتمـــــة

درسنا فيما مضى من هذه الصفحات البسيطة علماً من أعلام الشعر العربي ، وشخصية من شخصياته رفع لواءه حقبة من الزمن ، في عهد أقفرت فيه سماء الجزيرة العربية من فحول الشعراء المجيدين — الا وهو شاعرنا المجيد علي بن المقرب العيوني — الذى كادت أن تطويه يد النسيان مع من طوته من أمثاله الذين هم في أمس الحاجة الى البحث والتنقيب.

فلقد بدأت بحثي عن ابن المقرب بمقدمة موجزة أوضحت فيها الاسباب التي دعتني الى اختيار هذا الشاعر بالذات موضوعا لبحثي مع قلة المصادر عنه والذين تناولوه بالكتابة والدرس، مما جعلني اتحمل بعض المشقة في الحصول على المعلومات عنه ،وبعد ذلك عقدت فصلا خاصا درست فيه وطن الشاعر — البحرين — من الناحية السياسية أولا والثقافية والاجتماعية ثانيا نظرا لما لهذا من صلة وثيقة بحياة شاعرنا وتكوين شخصيته وشاعريته .

ومنه انتقلت بالحديث الى الشاعر نفسه فعقدت الباب الثاني ودرست حياة الشاعر من جميع جوانبها ونشأته ،واضفيت الحديث على كل الجوانب التي تتصل بنسبه وشخصيته وعلمه ومعتقده ،وختمت ذلك بوفاة الشاعر. كما عقدت فصلا خاصا عن رحلاته الى كل الاقطار المجاورة التي كتب لشاعرنا أن يزورها كالعراق واليمامة واثرها العميق في نفسيته وشعره اضافة الى اتصالاته بأبناء عمه امراء الدولة العيونية ،وغيرهم من اعيان عصره .

وبعد ذلك جعلت بابا خاصا ايضا لدراسة شعره من حيث الاغراض التي طرقها الشاعر معتمدا في ذلك على ديوانه الذى وقعت عليه فلفت انتباهي وملك علي اعجابي فوجدت كثيرا من الاغراض التي ساهم فيها شاعرنا ابن المقرب وابرزها المدح والفخر والشكوى من الزمن والناس، والحنين الى الوطن ايام الغربة ، والعتاب والنصح احيانا لابناء عمه الذين ناصبوه العداء وهضموه حقه ،مطاوعين في ذلك قول الوشاة والحاسدين الذين حسدوه على هذا النبوغ المبكر والقريحة المتوفرة.

كما وانني ايضا المحت الى العوامل التي صار لها دور كبير وفعال في تكوين شاعريته ،وأهمها جميعا الحرمان الذى مني به طيلة حياته من ابناء عمه ،ومن اصدقائه الذين كشفت له الحياة عنهم وعن نواياهم ، مما قلب الدنيا سوادا في عينيه بعد ما كان ينظر اليها بمنظار التفاؤل .

اضافة الى انني تحدثت ايضا عن رحلاته ، واتصالاته بعلماء عصره ، وكبار معاصريه من الامراء والولاة .

وفي نهاية المطاف لدراسة شعره عقدت فصلا خاصا اوضحت فيه الخصائص الاسلوبية التي لاحظتها على شعره من قوة في اللفظ ومتانة في الاسلوب ، وسمو في الفكرة ، وكذلك الخصائص المعنويه التي اتضحت لي من شعره .

وعلى أى حال فشاعرنا يمكن أن نقول عنه انه ذو عقلية فذة جمعت بين اجادة المتقدمين من فحول الشعراء كزهير والنابغة وشعراء الاسلام والعصر العباسي الاول كل ذلك اضافة الى حسن المتأخرين ، فقد اجتمعت له مزايا المتقدمين والمتأخرين .

ومنه انتقلت الى عقد دراسة خاصة بديوانه ، والدراسات التي وجدتها عنه اضافة الى آراء النقاد في شعره ممن عاصروه وسمعوا منه شعره ، وأوردوا ذكره في موءلفاتهم . غير انني خلال هذه الفصول أوردت كثيرا من الشواهد من شعره .

وفي النهاية اخترت بعض النماذج التي يمكن ان تعطي قارئها اكثر الانطباعات عن هذا الشاعر العبقرى .

ومن خلال دراستي لحياته وقرائتي لديوانه فقد لمست بعض الصفات التي يمكن أن اطلقها عليه ، وذلك كمشابهته لابي الطيب المتنبي في كثير من الصفات كثورته العارمة على الزمان والناس وعلو مطامحه ، كما انني ارجو الا اعدو الحقيقة ، ولا أجانب الصواب ، حينما اقول انه متنبي القرن السابع الهجرى فهو جدير بذلك وحقيق به .

كما وان ابرز ظاهرة تواجه قارئ ديوانه هي الحرمان الذى مني به الشاعر طيلة حياته ، فلا نكاد نقرأ له اى قصيدة من قصائد الديوان الا ونحس بهذا اللون الذى تلون به شعره وانطبع به ، ومن هذا يمكن لنا ايضا أن نطلق عليه شاعر الحرمان .

وبعد معرفتنا بمستواه الشعرى يمكن لنا أخيرا أن نتساءل عن الاسباب الحقيقية التي أدت الى غموض الشاعر وعدم شهرته مع أنه خليق بأن تنتظم اسمه في قائمة الشعراء المجيدين .

وجوابا لهذا السوءال يمكن أن نعزو السبب الى أن شاعرنا عاش في بيئة بحرانية يسودها الجهل والتخلف الادبي والاجتماعي والثقافي بالاضافة الى عوامل الاضطراب التي مرت بنا ، ولهذا فهي بيئة لا ترعى للنابغين حقوقا ، ولا للمفكرين من ابنائها واجبا .

وكما اثر تخلف البيئة في عدم الاهتمام به كذلك كان لابناء عمه الدور الهام في تناس الناس له واهماله وبالتالي خمول ذكره .

ومن جهة أخرى فان البحرين كما هو معلوم بعيدة عن حواضر الخلافة ومراكز الثقافة والمعرفة كبغداد ودمشق والقاهرة وحلب والمغرب والاندلس، ولهذا لم يعن بتاريخ البحرين العام فضلا عن تاريخ الحركة الادبية لبعد الشقة وعدم العلم بما يجرى فيها .

وهكذا بقي تاريخ الحركة الفكرية والعلمية والادبية مجهولا ، وظل ابن المقرب وديوانه مركونا في زوايا الاهمال ، وغير معروف لدى الدارسين والباحثين .

ورحلاته التي مرت بنا لم توءثر في ذيوع صيته وانتشار شعره بقدر ما اثرت في الشعر نفسه فصقلته وهذبته وجعلته واسع الافق .

وكما ان من أهم الاسباب ايضا في ذلك هو أنه عاش في زمن لم يهتم فيه بالشعر والادب اهتماما كبيرا فعوامل الوهن والجمود والجهل قد انتشرت في العالم العربي وخيمت عليه .

ولهذه الامور مجتمعة ظل شاعرنا ابن المقرب مغمورا ،وشعره مع الايام نسيا منسيا ، على أن شعره لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون سببا لهذا الجهل والتجاهل والقارىء له يجد انه امام شاعرية ناضجة ،وعبقرية خالدة لابد وأن تظهر مهما طالت الايام وتتابعت الدهور .

ولعلي بهذه الرسالة — وان كنت معترفا بقصورها — أديت بعض الواجب علي في لفت النظر الى هذه الشخصية الخالدة ،وابرازها الى حيز الوجود لتحض بعناية الدارسين والباحثين في التراث العربي القديم .

=()=()=()=

المراجع

١- الاعلام لخير الدين الزركلي الطبعة الثانية .

٢- تاريخ الاحساء او تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد لمؤلفه الشيخ محمد عبد القادر ، الطبعة الاولى ، مع ملاحقه للشيخ العلامة حمد الجاسر .

٣- دائرة المعارف باشراف الاستاذ فؤاد افرام البستاني .

٤- معجم البلدان لياقوت الحموي .

٥- القاموس المحيط للفيروز أبادي .

٦- المستدرك على ابن ماكولا - لابن نقطه .

٧- التكملة في وفيات النقلة للحافظ المنذري .

٨- الوافي بالوفيات للصفدي .

٩- تلخيص مجمع الآداب لأبي الفوطي .

١٠- قلائد الجمان في شعراء الزمان - لابن الشعار الموصلي .

١١- التهذيب لابي منصور محمد بن احمد بن ازهر .

١٢- ديوان ابن المقرب طبعة الهند سنة ١٣١٠هـ .

١٣- ديوان ابن المقرب شرح عبد العزيز العويصي - منشورات المكتب الاسلامي بدمشق المطبوع على نفقة الشيخ علي آل ثاني .

١٤- ديوان ابن المقرب تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

١٥- ديوان ابن المقرب طبع مكة سنة ١٣٠٧هـ .

فهرس الموضوعات

